





"التئام جراح إنفجار بيروت"

ملحق يصدر عن مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتمويل من ألمانيا من خلال البنك الألماني للتنمية (KfW)، ويوزّع مع جريدة «النهار» بنسخته العربية، ومع جريدة The Daily Star بنسخته الإنكليزية، ومع جريدة L'Orient-Le Jour بنسخته الفرنسية. يجمع الملحق عدداً من الكتّاب والصحافيين والإعلاميين والباحثين والفنانين المقيمين في لبنان، ويعالج قضايا تتعلق بالسلم الأهلي بالإضافة الى انعكاسات الأزمة السورية على لبنان والعلاقات بين اللبنانيين والسوريين، في مقاربات موضوعية بعيداً عن

العدد رقم 25، أيلول 2020، "التئام جراح إنفجار بيروت"



- 03 إنفجار بيروت: كيف أدارت الدولة الكارثة؟
- 04 المجتمع الدولي وانفجار بيروت بين المطلوب، المتوقّع والممكن
 - 05 كما عانى الآباء من قبل: جيل جديد يقاوم صدمة الإنفجار
 - 05 الإستجابة للإنفجار ولكوفيد – ١٩ وسط تعدّد الأزمات
- 06 دعم الأسرة والمجتمع للصحة العقليّة للأطفال والمراهقين في أعقاب تفجير مرفأ بيروت
 - 07 مأساة بيروت تُعيد إحياء الشعور المفقود بالإنتماء الوطني اللبناني
 - 10 بيروت تحبُّ لاجئيها
 - 10 المغترب جزء من الوطن لم يبتعد يوماً: دوره في إعادة بناء بيروت
 - 11 السلامة البيئيَّة في إعادة إعمار بيروت: نصائح لترميم يُراعي البيئة
 - 12 حماية المستأحرين في صلب استعادة قدينة قابلة للحياة
 - بيروت ما بعد الإنفجار في مسألة إستعادة التراث
 - _____ أدوات بسيطة تمكّن أى شخص من كشف المعلومات الملفّقة 14
 - 15 انفجار بيروت: عائلات تبحث عن مفقوديها ويلوّعها الإنتظار سوء التنسيق بين المعنيين يصعّب المهمّة

شهادات من 08 متطوّعات ومتطوّعين



النهوض بلبنان قدماً

سيلين مويرود

الممثلة المقيمة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان بالإنابة

إنّ الانفجار الذي هرّ مرفأ بيروت في 4 آب 2020، قد يشكّل نقطة تحوّل حاسمة بالنسبة إلى لبنان بأسره. فقد أدّى إلى الكشف عن التوازنات الهشّة الحاليّة التي أخفت تصدّعات هيكليّة، بعضها له جذور عميقة في الماضي. وقد يمهّد أيضاً إلى اعتماد سبل جديدة للتفكير حول كيفيّة دعم تعافي الشعب اللبناني؛ وربّما يساعد كافة الجهّات الفاعلة في النظر إلى المهمّة الضخمة التي تنتظِرها من خلال منظور يركّز على المستقبل، ويتمحور حول الناس، ويطرح أفكاراً جديدة، ويسلُّط الضوء على الأفكار القديمة بغية النهوض بلبنان قدماً. فبعد عقدٍ من المشقّات الناجمة عن الآثار غير المباشرة للصراع في سوريا، جاء هذا الإنفجار وسط أزمات أخرى: إقتصاد متضائل يقترب بسرعة من الإنهيار أثار احتجاجات غير مسبوقة تطالب بالمساءلة والشفافيّة والشمول، وتفشّى جائحة عالمية غير مسبوقة لا تنحسر. لقد أثَّرت هذه الأزمات بشدّة على التنمية البشريّة في لبنان، واختبرت قدرات الشعب اللبناني على التكيّف بشكل يفوق طاقته. وعلى الصعيد العالمي، تسبّبت الآثار المباشرة لجائحة كوفيد-19 على الصحّة، إلى جانب تأثير التدابير آلتى كانت ضرورية لاحتواء تفشّي المرض على التعليم والنشاط الإقتصادي، إلى تراجع التنمية البشريّة هذا العام للمرّة الأولى منذ أن استحدث برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مؤشّره للتنمية البشرية في العام 1990. وفي لبنان، كما في سائر العالم، كشفت أزمة جائحة فيروس كورونا عن هشاشة هيكليّة في النظم الصحيّة وعدم استعداد منهجي لترتيبات الحوكمة اللازمة للتعامل مع مثل هذه الأزمة الكبرى. والأهمّ من ذلك، أنّها كشفت عن مواطن الضعف وأوجه عدم المساواة السائدة وزادت من حدّتها. وقد أثّرت الأزمة على الجميع، ولكن ليس بالطريقة نفسها، ولا بالقدر نفسه. فقد كانت الفئات الأكثر ضعفاً هي الأكثر تضرّراً: المجتمعات الفقيرة، واللاجئون، والعمّال المهاجرون، والفئات التي تعاني من عدم مساواة منهجيّة مثل النساء والفتيات. وقد تؤدّي أوجه عدم المساواة أيضاً إلى تفاقم التوتّرات الطائفية وتهديد الإستقرار الاجتماعي ويمكن قول الشيء نفسه عن آثار الأزمة الإقتصادية ومؤخّراً عن إنفجار المرفّأ. كما تؤدّي الأزمات أيضاً إلى تعزيز نزعة شبه بدائيّة إلى التضامن. إذ في جميع الأزمات الأخيرة في لبنان، شهدنا تعبئة مجتمعيّة ضدّ عدم المساواة، مع تشكيك الناس في التوزيع المسلّم به للثروة، والخدمات، وشبكات الحماية الإجتماعية، والدعوة إلى التغيير على أساس المساواة والتضامن والإستدامة. وباعتماد انفجار المرفأ كنقطة انطلاق، تأتي المقالات في هذا الإصدار من الملحق في هذا السياق، حيث تدرس آثار الأزمات المتعدّدة والمتفاقمة في لبنان. وهي تدعونا إلى إعادة النظر في الموروثات الماضية، والتفكير من جديد في الإمكانات والسبل الجديدة. سواء كان الأمر يتعلّق بالاستفادة من تجارب الأزمات السابقة؛ وكيف يتعيّن على المجتمع الدولي تحويل دعمه؛ وأدوار جديدة للمغتربين اللبنانيين المهمّين للغاية؛ والفهم المتعاطف لوجهات نظر اللاجئين؛ أو توجّهات جديدة لمعالجة القضايا الأساسيّة مثل الإنتماء، أو الحفاظ على التراث الحضري الحيّ، أو إدارة مخاطر الكوارث، فإنّ مجموعة المقالات هنا تدفعنا إلى التفكير في المستقبل، بما يتجاوز "العمل كالمعتاد"، حيث نفكِّر في كيفيّة توحيد الصفّ للمساهمة في النهوض بلبنان قدماً.

إعلامنا ليس مكسر عصا

غسان حجار مدير تحرير صحيفة "النهار"

يجب اللَّ عِرِّ انفجار المرفأ في 4 آب 2020 مرور الكرام، والتساهل حياله، ومحاولة التأثير على وسائل الاعلام وترهيبها عبر اتهامها بالتضخيم وإثارة الرأي العام. في كل مرة، يحاول السياسيّون أن يرموا أثقال خطاياهم واهمالهم وتواطئهم على الاعلام. وهم على العادة نفسها، يطلبون الخدمة الإعلامية، ويتواطأون مع اعلاميين، لكنهم إذا لم يحققوا النتيجة المرجوة، أو استاء منهم رؤساء كتلهم وأحزابهم وأولياء نعمتهم، إنقلبوا على الإعلام، متهمين إيّاه بالتحريف وعدم الدقة. مع الانفجار الكبير، الذي لم يمرّ وقت كاف للتخفيف من وطأته على الناس، نفسياً وجسدياً ومادياً، حاول السياسيّون التنصل من المسؤولية، وحتى اليوم لم تحدد التحقيقات المسؤولية الفعليّة، ما حدا بالمسؤولين إلى التمني على الاعلام عدم الإثارة، كأن المؤسسات الاعلامية هي التي قتلت 200 انسان بريء، وجرحت 6000 آخرين، وشرّدت نحو 300 ألف من مساكنهم، وخرّبت 70 ألف وحدة سكنية، ودمّرت مؤسسات اقتصادية، وتسبّبت بالأذى المعنوى لنصف الشعب اللبناني. نسى هؤلاء أن الاعلام العالمي نقل المشاهد الحيَّة من بيروت، وتناسى هؤلاء أن السلطة هللت للانفجار لأنها اعتبرت أنه ساهم في فك العزلة عن لبنان، ولا يعترف هؤلاء أن الاعلام ساهم في توفير المساعدات للبنان. الإعلام اللبناني نقل وجع الناس، هؤلاء الذين هم أهله وجيرانه واقاربه، هؤلاء الذين لا صوت لهم، ولا يصغي أحد اليهم، لولا الضغط الاعلامي، فهل تريد السلطة قمع الناس ومنعهم من البكاء والصريخ؟ هل منع والدة أن تبكي وحيدها؟. ليس الاعلام الذي تسبّب بالمصيبة، لكنه قام بواجبه الأخلاقي والضميري.. والأهم المهني. فشكراً للاعلاميين الزملاء.

الكلّ يتأهّب لدعم بيروت

لا توجد كلمات تصف المأساة الرهيبة التي أصابت بيروت في 4 آب. إنّ مشاهد الدمار في أعقاب الإنفجار، أعادت إلى أذهان الناس الذكريات التي لا تزال حيّة للحرب الأهلية مع تفكّك الأسر، وفقدان المنازل والأعمال، والخوف على المستقبل. ومع اقترانها بأسوأ أزمة اقتصادية تشهدها البلاد وجائحة كوفيد-19 التي يبدو أنها خرجت عن نطاق السيطرة، بدت التوّقعات قاتمة بالفعل بالنسبة إلى البلاد. ومع ذلك، كشفت المأساة عن العديد من الأصدقاء الذين يمكن للبنان أن يعوّل عليهم؛ أصدقاء بمن فيهم المتطوّعون الذين توافدوا من مختلف أنحاء البلاد إلى العاصمة الجريحة لمساعدة الضحايا، والمغتربون اللبنانيّون الذين حشدوا الدعم عبر الإنترنت، والحكومات الأجنبية التي أرسلت المساعدات بأيّ طريقة ممكنة، حتّى في حين كان مرفأ بيروت لا يزال يكافح من أجل التعافي.

وقال وزير الخارجية الألمانية هايكو ماس، أنّ ألمانيا "لن تترك سكّان بيروت في هذه المحنة"، متعهّداً بتقديم 20 مليون يورو إضافية في شكل مساعدات إنسانية وصناديق للتعاون الإغائي. وفي مواجهة كارثة بهذا الحجم، تتمثّل الأولويّات الأكثر إلحاحاً في توفير الحاجات الأساسيّة مثل الإمدادات الطبيّة والغذاء والمأوى لجميع المنكوبين، قبل استعادة ثقتهم في مستقبل أفضل من خلال إيجاد سبل العيش، وتعزيز الإدماج الإقتصادي الأفضل، ومعالجة الجروح النفسيّة. وفي مثل هذه الأوقات من عدم اليقين المتزايد، فإنّ خطراً آخر أكثر ضرراً يهدّد حياة الناس ورفاهيّتهم: الأخبار المزيّفة التي تنشر النحو وتغذّي العنف. ومن بين الطرق التي تكاتفنا بها مع العديد من أصدقاء لبنان، المساعدة في مكافحة "وباء المعلومات المضلّلة" هذا. ويقوم البنك الألماني للتنمية (KfW)، من خلال برنامج الأمم المتحدة الإغائي، بتمويل دورات تدريبيّة لمحرّري ومراسلي الوكالة الوطنية للإعلام على مكافحة الأخبار المزيّفة التي تتمحور حول صحّة الناس. ومع استمرار تتابع الأحداث وتحريفها، تعدّ المساحات الإعلاميّة الآمنة والإيجابيّة أمراً حيويًا لتعزيز الحوار البنّاء والحدّ من عدم المساواة. إنّ ملحق "بناء السلام في لبنان" الذي تقرأونه هو واحدٌ من هذه المساحات. يصدر الملحق بتمويل من ألمانيا الحوار البنّاء والحدّ من عدم المساواة. إنّ ملحق "بناء السلام، فإنّ الفاعلين من أجل التغيير الإيجابي ما زال في إمكانهم كتابة مستقبل مشرق للبنان، وبينما لا يزال من الممكن سماع الأصوات الداعية للسلام، فإنّ الفاعلين من أجل التغيير الإيجابي ما زال في إمكانهم كتابة مستقبل مشرق للبنان، بوقوفهم متّحدين وفقاً لكلمات النشيد الوطني اللبناني الأولى، كما أظهروا من خلال أدائهم الجيّد في أعقاب الإنفجار: "كلّنا للوطن".

معاناة الصحافة اللبنانية عند أمسّ الحاجة إليها

نديم اللادي رئيس تحرير صحيفة "الدايلي ستار"

لم يكن لبنان في أيّ وقت من تاريخه، أكثر حاجة إلى معلومات موثوقة تقدّمها وسائل إعلامه الإخباريّة المعتمدة، لا سيّما الصحف الموثوقة. ومع غرق البلاد في دوّامة العواصف المتعدّدة، يستميت المواطنون من أجل الحصول على الحقائق وعلى صورة دقيقة لما يحدث على الأرض، وربّا الأهمّ من ذلك لما لم يحدث بعد. ومع ذلك، فمن المؤسف في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ لبنان، أن تكون وسائل الإعلام معرّضة للمآسي نفسها التي تعصف بالبلاد، في أكثر حالاتها حرماناً، وتعاني من ضربةٍ تلو الأخرى إلى أن تكاد أصواتها تختنق. لا يخفى على أحد، أنّ الصحف التقليديّة كانت عالمياً في تراجع منذ سنوات بسبب الإنتشار المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي وظهور المنصّات الرقميّة. وبطبيعة الحال، أدّى التحوّل الذي أعقب ذلك، في تفضيل القرّاء للمصادر عبر شبكة الإنترنت إلى تقلّص عائدات إعلانات المنشورات المطبوعة. غير أنّ الصعوبات كانت أشدٌ حدّة في لبنان. إذ كانت صناعة الإعلام تكافح بالفعل قبل الإحتجاجات التي اندلعت في 17 تشرين الأول من العام الماضي، ولكن ما تلاها من شلل إقتصادي وأزمة ماليّة وقيود، زاد في تعطيل ما تبقّى من إيرادات يمكن الحديث عنها، ولا سيّما من القطاع المصرفي، وهو مصدر رئيسي لإيرادات الإعلانات للصحف ووسائل الإعلام الأخرى. وقد أدّى الإغلاق على مستوى البلاد إثر الكشف عن حالات "كوفيد-19" في لبنان إلى تفاقم الأمور، ممّا زاد من تقييد الإقتصاد وجعل فكرة إيرادات الإعلانات المستقبليّة غير محتملة. وحتى الدعم المالي من السبل السياسيّة، وهي المصادر التقليديّة لدخل وسائل الإعلام في المنطقة، قد نضب. ثم جاء الإنفجار المدمّر في مرفأ بيروت، الذي أدّى إلى جانب مقتل ما يقارب الـ200 شخص، وإصابة الآلاف، وتدمير آلاف المنازل في جميع أنحاء العاصمة، إلى إلحاق أضرار ماديّة بمكاتب وسائل الإعلام الأساسية المعتمدة بما فيها صحيفتا "دايلي ستار" و"النهار"، في وقتِ كانتا تكافحان فيه من أجل البقاء، علماً أنهما غير قادرتين حالياً على تغطية مصاريفهما. وفي الوقت نفسه، في حين أنَّ وسائل الإعلام الموثوقة في البلاد تسعى جاهدة لإصلاح الأضرار، فإنّ قنوات التواصل الإجتماعي تكتسحها الأخبار المزيّفة التّي تشوّه الواقع، وتفسد تصوّر الناس في وقتّ يحتاجون فيه بشدّة إلى معرفة ما يحدث فعليّاً. ومع افتقار منابر الإعلام المعتمدة إلى الموارد اللازمة لتقديم المعلومات بشكل احترافي، يتعرّض الجمهور لمحتوى كاذب ومتحّيز ومتلاعب يزيد من حدّة التوتّرات الطائفيّة في بلدّ بات على حافة الهاوية. فضلاً عن ذلك، في بلد يُعرف تقليدياً بأنّه منارة الصحافة الحرّة في منطقة الشرق الأوسط، تزداد القيود على الحريّات الإعلاميّة في حين يواجه الصحافيّون، الذين يكافحون من أجل تغطية نفقاتهم مثل أيّ شخص آخر إن لم يكن أكثر، دعاوى قضائية لا معنى لها، حتى عن أبسط المقالات والمنشورات والبيانات في وسائل التواصل الاجتماعي. الآن، وأكثر من أيّ وقتٍ مضى، تحتاج وسائل الإعلام المعتمدة في لبنان إلى الدعم للعودة إلى طليعة التقارير الإخباريّة. إنها بحاجة إلى المساعدة لكي تتمكّن من اختراق الشائعات والتلميحات التي تزيد من حدّة التوترات، وحجب الأخبار الملفّقة التي تعاني منها وسائل التواصل الاجتماعي، ولكي تغدو مرّة أخرى الوسائط التي يلجأ إليها الناس عندما يكونون في أمسّ الحاجة إلى تغطية واقعيّة ونوعيّة.

البدء من الصفر

غابي نصر مدير تحرير الملاحق الخاصة في صحيفة "لوريان لوجور" L'Orient-Le Jour

وكأنّ الأزمة الاقتصادية ووباء كورونا لم يكونا كافيين حتى جاء الإنفجار المزدوج الذي وقع في مرفأ بيروت لينكأ جرح اللبنانيين الذين يعانون أساساً الكثير. وحتى الأمل في إعادة بناء سريعة للمناطق المدمّرة معدوم، طالما أن شيطان الإنقسامات السياسية لا يزال يفتك بالبلد.

علينا أن نقرّ بأن كلّ شيء في لبنان، أو تقريباً كل شيء، بحاجة الى إعادة بناء. وقبل أن نبدأ أعمال التشييد، ونطلق إعادة هيكلة الإقتصاد وخطط الإصلاحات الهيكليّة، علينا أن نعيد النظر بالتربية برمّتها وبكل منهجيّة التفكير. لقد كشفت كارثة المرفأ بشكل صارخ عن حجم الإهمال والعجز الذي وصل إلى درجة الإفتقار إلى جهاز خدمة عامة قادر على مساعدة الناس عند الأزمات. وتأكيداً على ذلك، رأينا التضامن الرائع لسكان المناطق المجاورة وجمعيات المجتمع المدني مع سكان الأحياء المدمّرة، وإسراعهم في تقديم المعونات الملحّة، ثم في إزالة الأنقاض والزجاج المكسور.

المجاورة وجمعيات المجتمع المدني مع سكان الاحياء المدمرة، وإسراعهم في تقديم المعونات الملحّة، ثم في إزالة الانقاض والزجاج المكسور. ومنذ فترة طويلة، وقبل أن تتعاقب المصائب التي تضرب لبنان اليوم، لم تتمكن الحكومات العديدة المتتالية من إيجاد حلول ذات مصداقية للحاجات الأساسيّة، مثل الكهرباء، والمياه، والهاتف، وإدارة النفايات المنزلية، ولا ننسى طبعاً الأمن والسلامة، وأسئلة كثيرة أخرى في تعريف ما يسمّى الدولة. لطالما كانت الأولويّة للسجال السياسي. لا شك في أن حرية النقاش علامة من علامات الصحة الديمقراطية، ولكن الجدال لا يمكن أن يكون غاية في حد ذاته، وعند نقطة ما، لا بد من اتخاذ خطوات. أما الدولة اللبنانية، التي نشأت على ضرورة الإجماع في كل حين وللأبد، وإن وصل الأمر الى درجة المهزلة، محكوم عليها أن تعيش تقاعساً أبدياً. وفي مواجهة الدولة الغائبة التي لم يبق منها سوى الهيكل الدستوري، إعتاد اللبنانيون أن يعتمدوا على أنفسهم فقط. وإذا كان ردّ الفعل إزاء الإهمال العام قد ولّد مبادرات جميلة ترتكز على المعرفة، والتآزر المتبادل والتضامن، إلا أنه وفي كثير من الأحيان قد يولّد العكس، فيكون رديفاً للإستخفاف، والأنانيّة، ونقص التحضر، وبالنسبة إلى البعض محفّزاً للغش والخدعة. وليس في ذلك ما يدعو للدهشة، فالمثل يأي من الأعلى؟. كيف لنا أن نأمل في أي شيء آخر، عندما تكون الدولة قد استقالت عملياً منذ أكثر من خمسين عاماً، وتمّ إطلاق السكان في البرية؟. بالطبع، لم يعد الأمر سيّان منذ الرابع من آب. لم يعد لدينا سوى الرجاء بأنّ الآتي قد يحمل معه بريق أمل.

إنفجار بيروت: كيف أدارت الدولة الكارثة؟

مصطفى رعد

صحافي بيئي

بدا واضحاً التخبّط الرسمي في التعامل مع كارثة انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020، والتي لم تُدار وفق مستلزمات اتفاقية "سنداي" لإدارة مخاطر الكوارث التي وقّع عليها لبنان في العام 2015، وسط غياب التنسيق ما بين جميع الأجهزة العاملة في الميدان.

هذا التخبّط الواضح للقاصي والداني ليس حكراً وجديداً على جميع الوزارات والإدارات التي نفضت أيديها من تحمّل المسؤولية عن كارثة وطنيّة بهذا الحجم. وعلى الرغم من نشاط لبنان اللافت عالمياً في تحضير الخطط الوطنية لإدارة الكوارث على مدى السنوات الخمس الماضية، إلّا أنَّ عدم تفعيل عمل وحدة إدارة مخاطر الكوارث، انعكس سلباً في الاستجابة للكارثة، ناتجاً منه التأخّر في تكليف "الجيش اللبناني بإدارة الكارثة في اليوم التالي"، بحسب ما ورد في أحد الوسائل الإعلاميّة بإدارة الكارثة في اليوم التالي"، بحسب ما ورد في أحد الوسائل الإعلاميّة

عوامل عدّة أدّت إلى حدوث الإنفجار، وغياب السلطات الأمنية عن أداء مهامها التي سيكشف عنها التحقيق، لم يُساهم في التخفيف من حدّة المخاطر. يشدّد المصدر نفسه على أنّ "أحداً لم يقصّر في الإستجابة للكارثة، إلّا أنّ التخبّط في الصلاحيات ما بين الأجهزة الرسمية وعدم العمل بخطط الإستجابة الموضوعة للتعامل مع الكوارث ترك أثراً سلبياً على جميع العمليات"، وذلك بدءاً من "عدم توزيع الأدوار في ضرب الطوق الأمني، وتحديد آليات البحث والإنقاذ عن الناجين، والتعرُّف على هويّة الجثث والحصول على عينات الحمض النووي، بالإضافة إلى عدم إنشاء مركز اتصالات مركزي".

ويضيف مصدر آخر أن "الدولة لم تُقيّم بعد "المخاطر المتعدّدة" لتحديد ما إذا كان الإنفجار قد حصل بشكلِ طبيعيّ أو كان مُفتعلًا"، وذلك



المحليّة. غياب التنسيق ما بين الأجهزة انعكس سلباً على عمل فرق الإنقاذ العاملة في الميدان. ويضيف المصدر أنّ "فرق الدفاع المدني في الساعات الـ 48 الأولى لم تكن مزوّدة بعدد كافٍ من كشّافات الإضاءة والآليّات المخصّصة لعمليات الإنقاذ، الأمر الذي شكّل عقبة كبيرة في البحث عن الناجين تحت الركام، مما اضطرّ العناصر إلى التوقّف عن البحث مع حلول الليل وانتشال الناجين عبر استخدام أساليب بدائيّة وكشّافات هواتفهم المحمولة"، كما أنّ "عدم وجود تعليمات وقائية من فيروس كوفيد-19 المستجد (كورونا) ساهم في رفع عدّاد الإصابات في صفوف المتطوّعين والمتطوّعات بعمليات رفع الردميّات".

بسبب "غياب غرفة عمليات مشتركة ما بين جميع الأجهزة الإغاثيّة والأمنيّة".

كما يشير المصدر إلى أنه "كان من الممكن تحسين الإستجابة للكارثة لو تم الإستعانة بالفرق المدرّبة على التعامل مع الكوارث في جميع القطاعات"، خصوصاً أنّ "محاكاة مماثلة حصلت قبل سنوات للتدريب على الإستجابة لكارثة حدوث إنفجار في أحد المرافق العامة"، لكنّ مشهد "التخبّط الرسمي أعاد إلى الأذهان مشهد انهيار مبنى فسّوح ليلة 15 كانون الأول 2012 في الأشرفية، ومصرع 27 شخصاً آنذاك بسبب عدم التنسيق".

هل تتحمّل بلدية بيروت مسؤولية جزئية؟

محليًاً، تتحمّل بلدية بيروت مسؤولية جزئية في انفجار المرفأ إلى جانب الأجهزة الرسمية الأخرى. وتحدّد المادة 49 من قانون البلديات مسؤولية "المجلس البلدي في مراقبة سير المرافق العامّة، وإعداد تقارير عن سير العمل فيها إلى الإدارات المعنية"(ومن ضمنها مرفأ بيروت)، وفق ما يشير إليه الدكتور أندريه سليمان، ممثّل "المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية في لبنان" في حديث خاص. ويضيف أنّ مهمة "رئيس السلطة التنفيذية في لبنان" في حديث خاص. ويضيف أنّ مهمة الوقاية من الحرائق والإنفجارات وطغيان المياه وتنظيم مصلحة المطافئ ومراقبة الأماكن التي تُخزّن فيها المواد المتفجّرة والمحروقات وتحديد كميّاتها وكيفيّة تخزينها، وسبل الوقاية منها، وفق المادة 74 من القانون نفسه".

ويشير سليمان إلى أنّ "المرفق العالمي للحدّ من الكوارث والتعافي منها (RRDFG)" سبق ودرّب الأجهزة المعنيّة في البلدية على كيفية التعامل مع الكوارث ضمن برنامج "المخطّط الشامل للمرونة الحضرية الشاملة لمدينة بيروت" في العام 2018، بتمويل بلغت قيمته مليون ومئة ألف دولار أميركي، للتدريب على المرونة والقدرة على الصمود والصلابة المدينيّة"، إلّا أنها "لم تُطبّق عندما وقعت الكارثة".

نقابة المهندسين تمسح الأضرار

الهيئات والنقابات لم تقف متفرجة على دمار بيروت، فقد تطوّع 1200 مهندس من نقابة المهندسين لمساعدة الجيش اللبناني في مسح المنشآت السكنية والجسور المتضرّرة. يقول المهندسين في حديث خاص، إن "40 فرقة من المهندسين الأخصّائيين في نقابة المهندسين في حديث خاص، إن "40 فرقة من المهندسين ساعدت الجيش على مسح الأضرار التي طالت المنشآت، وقد توزّعوا على 97 منطقة، لمسح ما يزيد عن 1500 مبنى بالإضافة إلى معاينة الجسور، وتمّ رفع المعلومات إلى خادمٍ خاص على الانترنت تديره النقابة والجيش من خلال تطبيق هاتفي، بالإضافة إلى تشكيل غرفة عمليات مشتركة ما بينهما"، الأمر الذي سيساعد الجهات المعنيّة المحليّة والدوليّة في تسهيل إعادة إعمار ما تهدّم من المباني.

ما العمل؟

بعد وقوع الكارثة بات ملزماً العمل على "إعادة البناء بشكل أفضل" بحسب ما يشير إليه المصدر المطلّع، مضيفاً أن "هناك ضرورة للتعويض على المتضرّرين اقتصادياً ونفسياً من الانفجار على المدى الطويل، والمساعدة في تحريك العجلة الاقتصادية عبر دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة الناشئة، وإعادة توفير فرص عمل لجميع الأشخاص الذين فقدوا وظائفهم وأماكن عملهم"، موضّحاً أنه "يجب إعادة بناء المباني السكنيّة، المراكز الحكوميّة والخاصّة بطريقة هندسيّة أكثر صلابة كونها الأكثر عرضة لموجات التسونامي والهزّات الأرضيّة".

مساعدات دولية

المجتمع الدولي وانفجار بيروت بين المطلوب، المتوقّع والممكن

فاطمة الموسوي

باحثة من لبنان

سجًل الإنفجار المدوّي الذي عصف بمرفأ بيروت خسائر على كل المستويات، وكشف عن بنية سياسيّة في غاية الهشاشة والتلكؤ، عجزت عن مواجهة الكارثة التي ألمّت بالبلد والتي ترافقت مع الأزمة الإقتصادية الأسوأ في تاريخ لبنان ومع التفشّي المتزايد لكورونا. لا مفرّ من ملاحظة غياب الدور الرسمي في مشهد ما بعد الإنفجار. إذ غابت الأجهزة الحكوميّة عن أداء مهامها، ولم نشهد دوراً فعّالاً مبادراً للبلديات أو تجهيزاً للمستشفيات العامة على الرغم من الحاجة الماسّة لإسعاف المصابين الذين لم يجدوا مكاناً. في المقابل، رأينا أناساً لا يتبعون لأجهزة الدولة يسعفون الجرحي، ينقذون العالقين تحت الركام، ويبادرون إلى تنظيف الطرقات وتوزيع المساعدات على المتضرّرين. حصل هذا في تنظيف الطرقات وتوزيع المساعدات على المتضرّرين. حصل هذا في الأعياب لأيّ دور رسمي فعّال في الإنقاذ، وفي المساعدة وجلاء الدمار. إكتفت الحكومة بالإستقالة بعد أيام من الإنفجار، من دون أي محاولة لتحمّل مسؤوليات جادة.

المجتمع الدولي لاعباً في مشهد ما بعد الانفجار

خلال الأشهر الماضية، إنغلقت الكثير من الدول على نفسها في محاولاتها للنجاة من كورونا، مما جعل الأزمة اللبنانية الاقتصادية تتعمّق من دون أيّ تدخل خارجي للإنقاذ، بالإضافة إلى العوامل السياسيّة الإقليميّة التي عزّزت الجمود الدولي حيال لبنان. لكن من الواضح أن حجم الإنفجار حرّك هذا الجمود، فالحدث نفسه كان مرعباً والصدمة العالمية كادت ألا تقل عن الصدمة الداخلية.

وفي سياق قراءة تحرّكات المجتمع الدولي، لا بدّ من إلقاء الضوء على المبادرات التي اتخذتها منظمات الأمم المتحدة، والدعوات التي خرجت من المنظمات العالميّة من أجل احتواء الأزمة على أرض الواقع. فمنظمات الأمم المتحدة المتمثلة في لبنان بالعديد من الهيئات والمهمّات، وضعت الرؤى والخطط وانطلقت لتنفيذ بعضها بالشراكة مع منظمات دوليّة أخرى، منظمات محليّة ومؤسسات رسميّة. في هذا المجال، قام برنامج الأمم المتحدة للتنمية بإجراء مسح شامل في بيروت، لا سيما في المناطق المتضررة، وذلك من أجل تقدير الخسائر. كما وضع البرنامج خطة لمناصرة الخطوات التي ستؤمّن الحماية الإجتماعية والإقتصادية لسكان بيروت وقام بعملية تقييم للحطام والأضرار البيئيّة، بالإضافة إلى تقديم المساعدة القانونيّة بالتعاون مع نقابة المحامين. أما منظمة الصحة العالمية، فدعت بجديّة إلى الأخذ في الإعتبار تزامن الإنفجار من انتشار كورونا، وبالتالي الحاجة المضاعفة إلى ملاقاة حاجات سكان بيروت المتضرّرين بفعل الحدثين. كما قامت المنظمة بوضع خطة لتجاوز الصدمة وتوفير المستلزمات الجراحيّة والطبيّة، بالإضافة إلى تحريك المنظمات الطبيّة الأهليّة الفاعلة من أجل مداواة الجرحي، ناهيك عن تجهيز وحدات متخصّصة بالصحة النفسيّة، وذلك إستجابة إلى طلب وزارة الصحة اللبنانية. بالإضافة الى ذلك، قامت المنظمة بالتعاون مع منظمات عالميّة بتوفير مأوى مؤقت ومبالغ نقدية لمن أصابهم الضرر. أما منظمة الأمم المتحدة لشؤون المرأة، فأشارت إلى الأثر المضاعف الذي خلَّفه هذا الانفجار على النساء، داعية في الاستجابة السريعة التي أطلقتها إلى تخصيص القسم الأكبر من المساعدة للنساء لا سيما المسؤولات مباشرة عن رعاية أسرهن. كما أنّ منظمة العمل الدوليّة، قامت ضمن برنامجها للتوظيف المكثّف بخلق 100 وظيفة مستعجلة



لموظفين لبنانيين ولاجئين كانوا قد فقدوا وظائفهم بفعل الإنفجار. هذه الوظائف مرتبطة بأغلبيتها بإزالة الدمار والعمل على إغاثة الأماكن الأكثر تضرّراً. يعمل هذا البرنامج مع بلدية بيروت في محاولة للوصول إلى أكثر الأماكن المتضرّرة لناحية خسارة فرص العمل، إجراء المسح المناسب وتقديم المساعدة النقدية، بالتعاون مع لجان أخرى تابعة للأمم المتحدة. كما كانت لبرنامج الغذاء العالمي خطة يقوم من خلالها بتوزيع المساعدات النقديّة على العائلات التي تحتاج إلى الغذاء، ويقوم بدعم موزّعي الغذاء المحليين من أجل إيصال عيّنات غذائيّة مفقودة. كذلك قامت منظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسيف" بتخصيص 4.4 ملايين دولار من أجل تقديم مساعدات صحيّة، نفسيّة، نقديّة، وسكنيّة للأطفال والفئات الصغيرة سناً، وتأمين مياه نظيفة وكافية للعائلات، فيما أطلقت برامج تعنى بإشراك صغار السن في عملية تنظيف المدينة. كما قامت منظمة الـ UN Habitat من خلال وحدة الطوارئ العاملة فيها، بالتنسيق مع منظمات أخرى تابعة للأمم المتحدة، بوضع خطة لإعادة بناء البيوت المهدّمة وإيجاد مأوى للعديد من العائلات التي فقدت منازلها بشكل جزئي أو كامل. كذلك أطلقت مبادرة لجمع مخلّفات الدمار التي لا مجال لإعادة تدويرها، من أجل طمرها بشكل آمن بخلاف ما كان يجرى في السابق. أما المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، فقد خصّصت مبلغ 35 مليون دولار لمساعدة المواطنين، اللاجئين والمهاجرين من أجل تأمين المأوى والحماية خلال الأشهر المقبلة. كما تطرّقت منظمة "الأونيسكو" في بيانها إلى الضرر الثقافي والعمراني الهائل، ودعت إلى العديد من الإجتماعات مع وحدات من وزارة الثقافة ومنظمات متخصّصة لتقدير حجم الضرر العمراني والثقافي، والعمل على حثِّ المجتمع الدولي المانح لتبني إنقاذ وترميم التراث اللبناني المهدّد. اللافت أن العمل التي قامت به هذه المنظمات هو عمل إغاثي في الدرجة الأولى، ما من شأنه أن يريح المجتمع المدني اللبناني من هذا العبء، فلا يستهلكه ولا يأخذه من دوريه في التنمية والمحاسبة. بالتوازي، إنطلقت التصريحات الدوليّة لتظهر الإستعداد للوقوف إلى جانب الشعب اللبناني. بادرت دول كثيرة، تصدّرتها الدول

العربية بإرسال مستشفيات ميدانية ومساعدات مختلفة عبرت بتفاوت عن مدى "إدراك" المحيط الإقليمي أو الدولي للمأزق الذي ترافق مع الكارثة أو خلّفته الكارثة نفسها. تراوحت المساعدات بين الأغذية، الأدوية، المواد الأولية والمواد النفطية... كما أعربت بعض الدول عن استعدادها للمباشرة في إعادة بناء بعض المرافق، كالمبادرة الكويتيّة لبناء إهراءات القمح المدمّرة في ظل غياب أي تعليق رسمى من قبل السلطة السياسيّة اللبنانيّة. كما انطلقت مبادرة أخرى قطريّة من أجل ترميم وإصلاح المدارس الرسميّة المتضرّرة مباشرة وليس عبر السلطات اللبنانيّة، فيما أطلق الفرنسيون مبادرات عدة أبرزها ترميم البيوت القديمة المتضررة. كذلك برزت دعوات إلى قطع المساعدات المباشرة عن الدولة اللبنانية وأجهزتها وإرسالها بدلاً من ذلك إلى الجمعيّات الأهليّة الموجودة في الساحات. هذه الخطوة التي حظيت بتأييد شريحة واسعة من اللبنانيين الذين فقدوا الثقة بإدارة السلطة للأمور، حملت تشكيكاً من قبل شريحة أخرى فقدت الثقة بالسلطة والجمعيات على حد سواء. وقد خرجت الأخبار المتواترة حول قيام السلطات اللبنانية بالإستيلاء على المساعدات وبيعها في الأسواق. وسواء كانت هذه الأخبار صحيحة أم لا، فإنها قد أدّت إلى نشر الهلع بين الشعب اللبناني، ما يطرح أسئلة جدية حول مقدار انعدام الثقة بين الشعب والسلطة، لا سيما بعد تجارب مؤلمة من سوء إدارة الكوارث وسوء توزيع المساعدات منذ الحرب الأهلية وحتى كارثة المرفأ. هذا الأمر يلقى المسؤولية على الجهات المساعدة لضمان طرق آمنة تؤدي بهذه المساعدات إلى محتاجيها من الناس. ويبقى السؤال اليوم، عمَّا إذا كان المجتمع الدولي سيتدخل بطريقة قد تؤدى إلى إعادة إنتاج الطبقة الحاكمة ذاتها، فينتشل السلطة السياسيّة اللبنانيّة عبر رفدها بالمساعدات وبالشرعيّة الدوليّة التي قد تكسبها القدرة على الإستمراريّة كما في السابق، أو أنه سيتدخل بالقدر الذي لن يؤثر في محاولات التغيير إن حصلت.



كما عانى الآباء من قبل: جيل جديد يقاوم صدمة الإنفجار

لودی عیسی

رئيسة تحرير "بيروت توداي"

سيبقى إسم بيروت مقترناً لفترة طويلة بانفجار المرفأ الذي شرّد ثلاث مئة ألف شخص وجرح الآلاف وأودى بحياة حوالي مئتى إنسان.

بعد مرور أسبوعن على انفجار 2750 طنًا من نيترات الأمونيوم على مقربة من قلب المدينة الصغيرة، لا تزال آثار الانفجار واضحة في كل مكان غر فيه، ونراها في أضرار السيارات التي تتوقف قربنا عند الإشارة الحمراء، وفي الزجاج المكسّر والمكدّس عشوائياً بالقرب من مستوعبات القمامة، وفي المباني التي لا تزال تخضع لإزالة الركام.

في النهاية، سيتم إصلاح الأضرار المادية وسيتحوّل تعاطف العالم إلى مكان آخر. وفي أثناء ذلك، سينصرف الاهتمام عن الذين نجوا من الإنفجار ليظلُّوا مسكونين بذكريات جديدة عن حرب شنَّت على بيروت. لا تختلف تداعيات الحرب المستمرة عن تلك التي عاني منها آباؤنا بين عامى 1975 و1990، عندما اندلعت حرب أهلية خاضها السياسيون عينهم الذين لا يزالون في السلطة حتى يومنا هذا.

في المرتين، إضطر الناس إلى ترك منازلهم، وأغلقوا أعمالهم التجارية، وألقوا بطموحاتهم جانباً ليحوّلوا جلّ تركيزهم نحو اجتياز يومهم الذي يعيشونه. شوّهت الحرب الأهليّة المباني التاريخيّة بالرصاص، أما الانفجار الذي وقع في 4 آب فقد أتى عليها بالكامل.

يقول مصوّر الفيديو الذي يعمل معى في بيروت، كارم منذر: "أخبرني الذين عاشوا الحرب الأهليّة أنهم لم يروا مثيلاً لما حدث في انفجار الرابع من آب. سنوات من العمل وكل شيء بناه الناس، تمّ تدميره في بضع ثوان". منذ الحرب الأهلية، لم تُحاسب الطبقة السياسيّة الحاكمة على جرامُها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى جرية اليوم - وهي أكبر انفجار غير عسكري في التاريخ الحديث - فقد لا تتحقق المساءلة أبداً.

بعد أقل من ساعة على الإنفجار، كان كارم يجوب الشوارع ليوثّق ما خلّفه الإنفجار. ولم يمنح نفسه سوى بعض الوقت ليطمئن على

سلامة أحبائه قبل أن يغوص في العمل. على الأرض، عاش حالة الخراب والفوضى وكأنها مشاهد من فيلم عن الحرب الأهليّة.

"لا أفهم. لم يبقَ شيء". إرتجف صوته وهو يقول هذه الكلمات عبر الهاتف في تلك الليلة، وكان دوّي صفارات الإنذار يسمع في الخلفيّة وهو يسير بين الأنقاض. في ذلك الوقت، كان يصوّر وكأنه آلة. الآن وقد استوعب ما جرى، أصبح باستطاعته تذكر أدق التفاصيل: رائحة الدم، الزجاج المطحون تحت خطواته، صراخ الجرحي وهم يبحثون عن مستشفيات لم يعرفوا أن الانفجار أتى عليها هي أيضاً.

ها هو جيل جديد من الشباب اللبناني تتحطّم نظرته للدنيا أمام مشهد الإنفجار. وعلى الرغم من غياب الإستقرار الإقتصادي والسياسي الذي نعيشه في البلد، استهزأ الكثيرون منا بمخاوف أهله من عودة الحرب الطائفيّة. بدا لنا العالم وكأنه مكان آمن نسبياً، لكن الدمار الذي لحق بمدينتنا محا في لحظة تلك النظرة الورديّة. تقول لين الشيخ موسى، وهي صحافية أيضاً في بيروت اليوم التي تحطمت نوافذها بالكامل بسبب موجة الإنفجار: "ظننت لحظة وقوع الإنفجار أن بيروت تتعرّض لقصف شديد. تذكرت على الفور انفجار عام 2005 الذي أودى بحياة رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري وحرب عام 2006 التي تلت ذلك. إعتقدت والدتي، شأنها شأن معظم الناس، أن مقاتلة إسرائيلية ضربت معلماً قريباً. أما خالاتي، فقد أمسكن بلا وعي بأطفالهن الذين انهمروا بالبكاء، وتجمّعن عند مداخل البيوت". قصص كثيرة كهذه سمعناها في أرجاء البلاد نظراً إلى مدى قوّة الانفجار وصوته. تضيف لين: "إعتقدت أمي وخالي أنها بداية حرب. أما أنا، فلم يكن باستطاعتي سوى أن أبكى وأحاول تهدئة جدتى حتى نستخبر عما حصل بالفعل". ربما فهم الحرب وقبولها أسهل مما نحن فيه اليوم. سنوات من الوعود التي لم يتم الوفاء بها، ومن الفساد السياسي، والإهمال الإجرامي لم تؤد سوى إلى تدمير مدينتنا وتحطيم أي أمل متبق لدينا. تمّ تخزين نيترات الأمونيوم الخطير في مرفأ بيروت، بالقرب من مئات الآلاف من المساكن

والى جانب إهراءات الحبوب الرئيسيّة في المدينة، ولمدة ست سنوات قبل وقوع الإنفجار. كان السياسيّون على علم بذلك، ولم يحرّكوا ساكناً حتى جاء الإنفجار ليحطم حقنا في العيش بسلام.

على مدى السنوات الست الماضية، وبدون علم منا، عقدنا اجتماعات، واحتفلنا بأعياد الميلاد، وذهبنا إلى الجامعة في أماكن تقع ضمن الدائرة التي فجّرتها المواد الكيميائية القاتلة الموجودة في المرفأ. هذه الأماكن، وحياتنا معها، أصبحت الآن مجرّد خراب. نرى أنفسنا في الأشخاص الذين فقدوا حياتهم أو أحباء لهم أو منازلهم. كان من الممكن أن يكون أيّ واحد منا. هو شعور نتشاركه مع أهالينا الذين نشأوا في زمن الحرب. قبل الانفجار، كان اللبنانيون يعانون من أجل تدبير أمورهم المعيشيّة جراء الإنهيار الاقتصادي السحيق الذي لم تشهد البلاد مثيلاً له على الإطلاق. وقد تعمّقت اليوم الصعوبات الاقتصادية الصعبة التي لم يعرف لبنان مثيلاً لها حتى في حقبة الحرب الأهلية.

تقول لين: "كنا نتمسّك بشيء من الأمل الى أن أتى الإنفجار على خمس المدينة. إعتقدت أنني لم أفقد الأمل في البقاء هنا. لكن لا مكنني أن أتصوّر نفسي وأنا على أهبّة الإستعداد تحسّباً لحدوث انفجار آخر في السنوات المقبلة". تابعت جنازة الياس الخوري البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، والذي توفي بعد أسبوعين من الإنفجار متأثراً بجروحه. وبينما كنت أشاهد أصدقاءه في المدرسة يحملون نعشه الأبيض، إعتراني شعور ساحق بالعجز، ولم أستطع السيطرة على أفكاري. أتسأل، ما شكل تجارب الحياة التي فاتته؟ ومن كان ليصبح؟ وكيف ستكون من بعده حياة الأحبّة المفجوعين الذين تركهم ورحل؟.

أي شيء قد يحدث في أي وقت. هذه الفكرة لا تفارق أذهان آبائنا بعد كل ما مرّ بهم على مدى أربعين عاماً من تفجيرات واغتيالات وحرب أهليّة. واليوم، جيل جديد يتشارك الصدمة الجماعيّة عينها التي تشاركها الجيل الذي سبق. اليوم، تجتاح الكوابيس نومنا، ولدينا هلع من النوافذ، ونجزع عندما تفاجئنا الأصوات العالية.

الإستجابة للإنفجار ولكوفيد–١٩ وسط تعدُّد الأزمات

إيفلين حتى

رئيسة قسم طب الطوارئ في المركز الطبى في الجامعة الأميركية في بيروت

واجهت القطاعات الصحيّة حول العالم تحدياً كبيراً بسبب جائحة كورونا التي وضعت ضغوطاً مهولة، لا سيما على الأنظمة الصحيّة ذات الموارد المنخفضة. وفيما كان لبنان على أهبّة الاستعداد للبدء بإغلاق من أجل احتواء تزايد الإصابات إثر فتح الحدود، شهدت بيروت إنفجاراً في الرابع من آب وقع ضحيته أكثر من 175 قتيلاً و6000 جريح، وهجّر إثره نحو 300 شخص من منازلهم. وقد أدّت الأحداث التي توالت إلى تفاقم التحديات التي كان لبنان يواجهها في الاستجابة الفعّالة للوباء.

دخل الوباء لبنان فيما تعانى البلاد أساساً من أزمة اقتصاديّة ومصرفيّة، وكان على حكومة معيّنة حديثاً أن تتولّى الإستجابة للجائحة. لم تختلف التحديات الأوليّة التي واجهها لبنان عما تواجهه العديد من الأماكن التي تعانى من إمكانات استجابة محدودة. فالنظام الصحى المجزأ في البلاد ينتمي إلى القطاع الخاص في جزء كبير منه ويتركز في المدن، كما أن الأحياء مكتظة بالسكان وتعيش ضمن الأسرة الواحدة أجيال عدة، ويضاف الى ذلك أن سلاسل التوريد تعتمد بشكل كبير على الواردات. ثم جاء انفجار الرابع من آب ليزيد من الضغوط على المنظومة، فقد تعرّضت ستة مستشفيات رئيسيّة لأضرار جسيمة، وتفاقمت مشكلة الكثافة السكانيّة مع نزوح الآلاف، وفوق ذلك كله، فإن استقالة الحكومة ضربت مصداقيّة جهود الاستجابة وقدرتها على تعبئة مختلف القطاعات. إتبع لبنان في بداية الجائحة تدابير احتواء صارمة من أجل رفع قدرات القطاع الصحي. فأغلقت المدارس والحضانات والحانات والصالات الرياضيّة ومراكز التسوّق، كما أغلقت الحدود بشكل كامل وأجبر الناس على البقاء في منازلهم، في حين أن عدد الحالات كان لا

يزيد آنذاك عن 99 حالة. ورغم الاحتواء الناجح في بداية الأمر، حيث بلغ معدل الإصابة 1.5 % فقط ولم يسجل سوى 251 حالة لكل مليون شخص أثناء إغلاق الحدود، إلا أنّ هذه النتيجة سرعان ما تبدلت مع توافد حالات من الخارج ظهرت بعد قدومها مجموعات من المصابين . وفي أعقاب الإنفجار، الذي حدث بينما البلاد تخضع لإغلاق ثان، ارتفع معدل الإصابة من 2.1 % في 25 تموز إلى 10.5 % في 22 آب، وسرعان ما امتلأت الأسرة المخصّصة لمرضى كوفيد- 19 في المستشفيات.

التحدي الأكبر اليوم هو في تعبئة قطاع صحى، خاص في معظمه، من أجل رعاية مرضى كوفيد - 19، وما يترتب على ذلك من أعباء مالية كبيرة على المستشفيات تشمل توفير المعدات المطلوبة، إستيفاء معايير تأمين معدات الوقاية الشخصية المكلفة، في حين أن مسدّدي الفواتير الطبية من الفئة الثالثة ما زالوا يستثنون مرضى كورونا من التغطية الطبيّة. تضاف الى ذلك، الخسائر في الإيرادات لأنّ بعض الأفراد قد يختارون من أجل استشفائهم تجنّب المستشفيات التي تستقبل حالات كورونا. من الناحية المالية، هذا عامل غير مشجع على الإطلاق. بالتالي، فقد تركزت رعاية مرضى كوفيد - 19 في المستشفيات الحكومية، على الرغم مما يتمتع به القطاع الطبى الخاص في لبنان من إمكانات. بعد الانفجار، أصبحت مستشفيات كثيرة كانت تستقبل حالات كورونا خارج الخدمة، أو باتت تعمل بشكل جزئي نتيجة الأضرار التي لحقت بها، فزاد الضغط على المستشفيات القليلة المتبقية. لذلك، فإن أي تخطيط مستقبلي لا بدّ من أن يشمل إعادة النظر في ما يتعلق بتأمين الموارد الضرورية للمستشفيات الحكوميّة، وتوفير الحوافز والدعم للقطاع الصحى الخاص، بالإضافة الى العمل مع الجهات المسدّدة للفواتير الطبيّة من أجل عدم استبعاد مرضى كورونا من التغطية الطبيّة.

ومن التحديات الإضافية، التي زادت حدةً بعد الانفجار، هو الإعتماد الكبير على سلاسل التوريد الخارجية، حيث أن البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل لا تتمتع بقدرة كبيرة على المنافسة للحصول على الموارد الحيويّة . ومع استمرار الاضطرابات في سلاسل التوريد هذه،

ظهرت مبادرات محليّة عدة وجهود من أجل تصميم وإنتاج أجهزة تنفس صناعية ومعدات الوقاية الشخصية (PPE) . ثم إضطرت المرافق الصحية إلى أن تلجأ فوراً لمعايير الأزمات لجهة إعادة استخدام المعدات الطبيّة ومعدات الوقاية الشخصيّة PPE. بعد الإنفجار، أغدقت التبرعات على لبنان وتضمّنت إمدادات ومستشفيات ميدانية ومعدات وقاية شخصيّة. ولكن، معظم هذه التبرعات لم تأخذ في الاعتبار الحاجات الطويلة الأمد والتي لا تتعلّق برعاية الحالات الحرجة. بالإضافة إلى ذلك، فإن تدفّق التبرعات والتحدي اللوجستى المتمثل في مطابقة الإمدادات مع الحاجات المختلفة قد بيّن مدى الحاجة إلى وحدة وطنيّة مركزيّة للإستجابة للكوارث من شأنها تنسيق الجهود، وهو أمر لم يكن متوافراً في لبنان عندما حدث الانفجار.

وأخيراً، في حين أصبح استخدام الخدمات الصحيّة عن بُعد واسع الانتشار في أماكن كثيرة من العالم، وتحكمه معايير ممارسة واضحة، فإن غيابه في لبنان كان ملموساً بشدّة أثناء الوباء، وخصوصاً بعد الانفجار وارتفاع عدد الإصابات وتفاقم عبء العمل مع تحوّله من المستشفيات المتضرّرة إلى المستشفيات الأخرى. في البلدان التي تتوافر فيها هذه الخدمة، قللت الرعاية الصحية عن بُعد من إمكان تعرّض الموظفين والمرضى لكوفيد - 19. وليس هذا فحسب، بل عوّضت أيضاً عن بعض الإيرادات التي انخفضت في كثير من الاختصاصات الطبيّة نتيجة تدني عدد المعاينات الطبيّة المباشرة. فقد بدأ عدد قليل من المراكز الصحيّة في لبنان في تقديم الرعاية الصحيّة عن بعد أثناء الوباء، ولكن لا تزال معايير الممارسة والأطر القانونيّة غير واضحة. وعلاوة على ذلك، لا تزال معظم الجهات المسدّدة للفواتير تأبي أن تغطى هذا النوع من الرعاية الصحيّة، مما يقيّد كثيراً اللجوء إليها على نطاق واسع.

أتاح وباء كوفيد - 19 الفرصة لإعادة النظر في منظومة الرعاية الصحيّة في الأماكن حيث الموارد محدودة، وحيث كشفت الممارسات والسياسات المتجذّرة منذ مدة عن نقاط ضعف لا بد من معالجتها لتخطى هذه الأزمة الصحيّة وأزمات صحيّة أخرى قد تظهر في المستقبل.

دعم الأسرة والمجتمع للصحة العقليّة للأطفال والمراهقين في أعقاب تفجير مرفأ بيروت

تانیا بوسکی

اختصاصية في علم النفس السريري واستاذة مساعدة في الجامعة الأميركية في بيروت



لحظة هدوء وسط الفوضى: أنشطة الدعم النفسي والإجتماعي للأطفال في ملعب الكرنتينا. الصورة عن: يونيسيف لبنان.

إن تفجيرات المرفأ التي عصفت ببيروت منذ أسبوعين، مسفرة عن مقتل ما لا يقل عن مئتي شخص وإصابة الآلاف وملحقة الضرر والدمار بمئات الآلاف من المنازل، قد أثرت بشكل غير مسبوق على الصحة النفسيّة للسكان ورفاهيّة عيشهم. وقعت التفجيرات في وقت كان الناس يعيشون فيه أساساً تحت وطأة الضغوط، يخنقهم انخفاض قيمة الليرة اللبنانية، ونقص الوقود والكهرباء، والإقفال من حين لآخر، وإجراءات احتواء فيروس كورونا، والاحتجاجات الغاضبة الواسعة النطاق على فساد الحكومة وسوء الإدارة. ويعيش اليوم حوالي نصف اللبنانيين في لبنان، وما لا يقل عن ثلثي اللاجئين، تحت خط الفقر. لقد أوقدت كارثة الميناء من جديد الغضب ضد النخبة الحاكمة التي تجاهلت التحذيرات في شأن القدرة الفتّاكة للمواد المتفجرة المخزّنة بشكل غير سليم في الميناء. يعيش اللبنانيون أساساً وبشكل يومي ضغوطاً مزمنة، أضيفت إليها صدمة نفسيّة قويّة بسبب الانفجار، وتعرّض مستمر للإحساس بعدم القين والخوف، كل ذلك شكل عاصفة مثالية لظهور مشاكل شديدة وجسيمة على مستوى الصحة العقلية.

بعد كارثة الميناء، تحدث الآباء المتضررون عن مخاوف تتعلّق باضطراب النوم لدى أطفالهم، دخولهم في حالة صمت وعدم استجابة، تعلّقهم الشديد بالوالدين، قلقهم وخوفهم من انفجار آخر بالإضافة الى سيطرة الانفجار والأصوات العالية على لعبهم وانشغالاتهم. يعاني الآباء في

التعامل مع ردود الأفعال هذه، خاصة وأنهم يعانون هم أيضاً من صدمات فتحت بالنسبة إلى العديد منهم جراحاً قديمة تعود للحرب الأهلية وما تلاها من حروب وأعمال عنف. يسأل الآباء أسئلة تفطر القلب: "كيف أجعل طفلي ينسى؟ هل أستطيع البكاء أمامهم؟ ماذا أقول لهم بخصوص ما حدث؟ هل سيعودون إلى طبيعتهم مرة أخرى؟". في إحدى حلقات الدعم النفسي الاجتماعي التي جمعت مراهقين وآباء، والتي تديرها جمعية Embrace، ذهل الآباء لعمق الإدراك لدى الأبناء لواقع الحال. عبر الشباب عن قلقهم بشأن القدرة على تحمل تكاليف منازلهم بعد اليوم، وماذا سيحدث إذا لم تستقل الحكومة، وما إذا كانت الإنفجارات سوف تشعل حرباً أهلية، وتساءلوا ما إذا كانت المستشفيات - التي تضرر الكثير منها جراء الانفجار - سوف تكون قادرة على معالجتهم إذا أصيبوا بفيروس كورونا. لا تخفى على أحد تلك المخاوف المعقدة والمتراكمة في أذهان شباب المدينة.

لطالما أظهرت الأبحاث أن تفاقم الاضطرابات النفسيّة لدى الأطفال، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحروب والنزاعات المسلّحة والكوارث الطبيعية (Attanayake et al.، 2009). أكثر ما يثير القلق في شأن التأثير المحتمل لتفجيرات المرفأ على الصحة العقليّة، هو أنها لا تبدو عملاً حربياً متعمداً، ولم تكن حادثاً طبيعياً أو من صنع الإنسان. كانت نتيجة لشلل النخبة السياسية بسبب الطائفية والفساد، لدرجة أنهم خاطروا بلا خجل بحياة شعبهم. هؤلاء الأبرياء ليسوا شهداء ماتوا من أجل قضية واضحة، لكنهم ضحايا إهمال لا معنى له. يرجح أن تؤدي تداعيات

الغضب واليأس من جراء هذا الواقع، إلى تأجيج ردود الفعل الناجمة عن الصدمة بعد الانفجارات. في حين يصعب علينا وضع وصف دقيق ومنطقى لشكل الحزن والخسارة. إن إجحافاً اجتماعيّاً وسياسيّاً بهذا الحجم ربط في سياقات دول أخرى بصحة نفسيّة سيئة، وبازدياد خطر الاكتئاب والقلق (Giacaman et al., 2011). أدت التجارب الجماعية للحرب في لبنان، وبغض النظر عن تجربة الفرد، الى تفاقم حالة القلق (Nuwayid et al., 2011)، وهذا يشير إلى أهمية الطبيعة المشتركة والاجتماعية لحالة الأسى. لقد هزّت إنفجارات المرفأ كل البلد بالمعنى الحرفي والمجازي للكلمة. وكذلك الخوف والألم والغضب، فقد عاشه الجميع معاً. علماً أن الأطفال ليسوا محصّنين ضد هذا الألم الجماعي، ويتأثرون بتجارب وردود أفعال من حولهم من آباء وأسر ومجتمعات

وكما أن الألم الناتج من كارثة المرفأ عاشه الناس بشكل جماعي، مكننا العمل على تنمية القدرة على مواجهة الواقع والتكيّف، على المستوى الجماعي أيضاً. في حين أن سكان لبنان قد سئموا منذ فترة طويلة من الاضطرار إلى التكيّف، إلا إن شبكات الدعم الاجتماعي والمجتمعي القوية والموجودة في جميع أنحاء البلاد توفر حماية واسعة النطاق للصحة العقليّة للأطفال. عقب تفجيرات المرفأ، وعلى الرغم من حالة الترنّح التي تلت الكارثة، نزل الناس بالمئات إلى المناطق المتضرّرة، لإزالة الأنقاض، ورأب الأبواب والنوافذ التي اقتلعها الإنفجار، وتقديم الطعام والماء والمأوى، وليكونوا أذناً صاغية حنونة للمتضرّرين. ولعل لهذا النوع من التدخل على المستوى المجتمعي، والذي حدث بشكل تلقائي، أثر كبير من حيث توفير حماية كبيرة للصحة العقليّة للأطفال (Betancourt et al.، 2013). يمكن تعزيز آليات الحماية هذه من خلال بناء القدرات ودعم الآباء والأسر والمجتمعات. على سبيل المثال، في الكرنتينا، وهي واحدة من أكثر المناطق تضرراً، وحيث دخل الفرد منخفض، مِّت إعادة افتتاح حديقة عامة كانت البلدية قد أغلقتها، وتستخدمها اليوم المنظمات غير الحكومية (اليونيسيف، وWar Child Holland وCatalyticAction) كمساحة آمنة للأطفال والآباء بعيدًا عن الفوضى المحيطة. إن باحة اللعب "playground space" هي عبارة عن مبادرة مجتمعية، تمّ إطلاقها في العام 2016 مِقاربة تشاركيّة، وأعيد إطلاقها بتصور جديد بعد الكارثة، من خلال CatalyticAction ومبادرة الجوار في الجامعة الأميركية في بيروت، بالتعاون مع المجتمع والأطفال أنفسهم. وتشدّد الإرشادات الدولية حول الصحة النفسية والرعاية النفسية بعد حالات الطوارئ الإنسانية، على ضرورة اتباع نهج مجتمعي يعتمد على موارد المجتمع، ويكون متاحاً لجميع السكان المتضررين (IASC, 2007). لا شك في أن الحاجة إلى الرعاية المتخصصة في مجال الصحة العقلية، والدعم النفسي والاجتماعي المركّز سيكونان ضروريين في الأسابيع والأشهر المقبلة وعلى نطاق واسع، إلا أن المبادرات على المستوى المجتمعي، مثل ملعب الكرنتينا، من شأنها أن تعزّز قدرة المجموعة وأن تشجّع وتدعم التعافي الطبيعي والتكيّف. بالنظر إلى حجم الدمار والطبيعة الجماعيّة لحالة الضيق والأسى التي أعقبت كارثة المرفأ، فإن تعزيز المجتمعات هو أمر أساسي من أجل حماية الصحة العقليّة للأطفال ورفاهيتهم.

Attanayake, V., McKay, R., Joffres, M., Singh, S., Burkle Jr, F. & Mills, E. (2009). Prevalence of mental disorders among children exposed to war: A systematic review of 7,920 children. Medicine Conflict and Survival, 25(1); 4-19.

Betancourt, T. S. Meyers-Ohki, S., Charrow, A. P. & Tol, W. A. (2013). Interventions for children affected by war: an ecological perspective on psychological support and nental health. Harvard Review of Psychiatry, 21, 70-91.

Diab, S. Y., Palosaari, E. & Punamaki, R-L. (2018). Society, individual, family, and school factors contributing to child mental health in war: The ecological-theory perspective. Child Abuse & Neglect, 84; 205–216.

Giacaman, R., Rabaia, Y., Nguyen-Gillham, V., Batniji, R., Punamäki, R-L. & Summerfield, D. (2011). Mental health, social distress and political oppression: The case of the occupied Palestinian territory. Global Public Health, 6(5); 547-559 IASC (2007). IASC guidelines on mental health and psychosocial support in emergency settings. Geneva: World Health Organization Inter-agency Standing

Nuwayid, I., Zurayk, H., Yamout, R. & Cortas, C. S. (2011). Summer 2006 war on Lebanon: A lesson in community resilience. Global Public Health, 6(5); 505-519.

المحتمع

مأساة بيروت تُعيد إحياء الشعور المفقود بالإنتماء الوطني اللبناني

زينب شمعون

صحافية و باحثة

في أعقاب انفجار بيروت، توحّد مشهد الحياة اليومية للمواطنين في لبنان في صورة واحدة تجمع سواعد لبنانية وغير لبنانية، من جميع الأعمار والأجناس والمناطق والخلفيّات الدينيّة، وقد تضافرت للعمل من دون كلل في شوارع بيروت المشوّهة من أجل مساعدة المدينة على استعادة قواها. تضمّن الجهد اليومي إصلاح أعداد هائلة من النوافذ والأبواب، توزيع حصص غذائيّة، تأمين مسكن، تنظيف شوارع، وتحديد الحاجات المهولة التي يجب تلبيروت المساورة عتى فقدناها. لم نكن نعرف حجم قوّتنا بوحدتنا، حتى شعرنا أننا جميعاً مستهدفون وبشكل متساور.



بعد ساعات قليلة من وقوع الكارثة، تحرّكت جهود الإغاثة بشكل حثيث، على الأرض ومن خلال وسائل التواصل الإجتماعي. إجتاح الناجون شعور بالذنب لأنهم أحياء، فأخذ كل فرد على عاتقه مسؤولية إصلاح ما حدث. لم ينتظر الناس أن تقوم الحكومة بأيّ تحرك، لعلمهم المسبق بأنها قد تخذلهم مرة أخرى. تحوّلت الصفحات الشخصية على وسائل التواصل الى منصات تطلق من خلالها النداءات، وتعرض من خلالها المساعدة. لا يزال اللبنانيون يشعرون بالموجة الصادمة التي مزّقت بروت وأجسادهم، فتضافرت الجهود للإستجابة إلى الحاجات الأكثر إلحاحاً ومنها: توفير المأوى للذين فقدوا منازلهم والبحث عن الضحايا المفقودين. من خلال Instagram، عرض الناس منازلهم الخاصة لاستضافة المتضرّرين. تمّ إنشاء العديد من صفحات التواصل الاجتماعي لتأمين المساعدة، وكل صفحة إحتضن عنوانها "بيروت" واستهدفت نوعاً معيناً من

لم يكن الرد الجماعي اللبناني نتيجة "القدرة السلبيّة على التكيّف". فاللبنانيون، ورغم أنهم واجهوا

الكثير من الأزمات، لا يتأقلمون بسهولة مع أداء حكومي وقح، لا يطاق ولا يحتمل. لقد نبعت جهودهم الجماعية من عدم إيانهم الجماعي بالنظام الحاكم. أرادوا على وجه السرعة أن يسدّوا فجوة طارئة عرفوا أن السلطات لن تحرك ساكناً لمعالجتها. وحتى هذه اللحظة، فإن جهود الحكومة ضئيلة ولا ترقى إلى مستوى العمل الذي يقوم به الأفراد ولا الى المبادرات التي يقودُها المتطوعون. ليس لدى المواطنين في لبنان أي ثقة في الحكومة ولا في الأحزاب الحاكمة، ولديهم كل الحق في ذلك. في نهاية المطاف، فإن الحكومة مسؤولة عن السعى لإخفاء ما يشبه القنبلة النوويّة الكامنة، بالقرب من العمال الأبرياء والمارّة والسكان الذين يعيشون في قلب المدينة أو قرب البحر. هو إهمال الحكومة الذى أفقدنا الأرواح والجدران وتراثأ ثقافيا وأسقفا مضاءة ومقاهى وشوارع، اكتنفت ذكريات عزيزة

تبخّرت جميعها في سحابة الفطر تلك. تُرجمت الجهود الجماعيّة التي أعلن عنها في الليلة الأولى إلى إجراءات عمليّة على أرض الواقع في صباح اليوم التالى. إحتشد الناس في أكثر الأحياء تضرّراً وقد

اعتراهم شعور بالصدمة والحزن والغضب. إنتقلوا من منزل إلى منزل تحت أشعة الشمس القوية لتقديم المساعدة، متخذين أكبر قدر ممكن من الاحتياطات ضد الوباء. حملوا المكانس والمقشّات والقفّازات والأقنعة والخوذات، وبدأوا في إزالة الأنقاض والزجاج. غلّفوا النوافذ والأبواب المكسورة، واطمأنوا على السكان في المنازل المتضرّرة. أناس من واطمأنوا على السكان في المنازل المتضرّرة. أناس من التي مناحي الحياة جاءوا من جميع أنحاء لبنان الى مناطق لم يسبق لهم أن زاروها من قبل ليقوموا بأعمال تتطلّب جهداً بدنياً مضنياً.

كان المشهد مؤثّراً للغاية. كيف يمكن لبلد تعرّض للتو لأحد أكبر الانفجارات في التاريخ، أن يستيقظ مستنداً إلى قوّة الإرادة الجماعيّة ليعيد بناء عاصمته المتضرّرة؟ الجميع في لبنان إما شعروا بالإهتزازات أو سمعوا صدى الإنفجار. لقد تأثروا جميعاً، سواء جسدياً أو عاطفياً. إذا ما مررت في المناطق الأكثر تضرراً، كالجميزة ومار مخايل، لا يسعك إلاّ أن تلاحظ التنوّع الغني. وصلت حافلات المساعدات الكبيرة من كل المناطق واختلط الغرباء ضمن مجموعات بشكل عفوي. عكست الملابس والأسماء

الإختلافات الدينية. وفي حين أنّ لبنان بلد متنوّع دينياً، فإنّ مثل هذه المشاهد للتضامن الكبير بين الطوائف جديدة نسبياً. فالبلد منقسم على نفسه نتيجة سياسات طائفيّة مستمرة منذ ثلاثين عاماً. لا تزال مخلّفات الحرب الأهليّة موجودة، ويهيمن على كل منطقة لون سياسي معيّن. وحتى يومنا هذا، ما زلنا نثمّن تنوّع انتماءاتنا الطائفيّة عندما نشاهده على الأرض. أيقظنا الإنفجار الفظيع كي نجمع ما تبقى من هويتنا المتناثرة ونعيد تأطيرها ضمن هوية واحدة موحدة لما يحكن أن تبدو عليه الأرقمانيية". يميل اللبنانيون إلى إضفاء الطابع الرومانسي على مشاهد الوحدة والتضامن، على أمل أن تطبعهم هذه الصورة من جديد.

إن العيش تحت رحمة حكومة متخلخلة يعنى أن تعيش دامًا في حالة من التفكير المسؤول، الحذر والمستمر. لقد تطوّرت المبادرات اللبنانية، فبعد أن كانت ردود فعل فوضويّة عفويّة، تحوّلت لتصبح خطط استجابة أكثر تنظيماً. "محطة البلد" هي أحد الأمثلة على هذه الجهود الإغاثيّة المستمرة والمستدامة. بدأت مجموعة من الأهالي، حسين وآية وجوزفين ومازن. أنشأت المحطة في منطقة الجعيتاوي لتقديم الطعام وللتعبير عن التضامن. ثم انضم إليها لاحقاً جون وفريقه من "Nylon's "Generation" فتحوّلت إلى مركز إغاثة للحيّ وللمجتمعات الضعيفة. ومن خلال التنظيم الفعّال وجمع البيانات وتوزيع التبرعات والتنسيق بين المتطوعين، تتطوّر المحطة لتصبح لاحقاً مركزاً مجتمعياً مكتفياً بذاته يعمل بشكل مستدام وطويل الأمد ويعزز التفاعل الاجتماعي والشعور بالانتماء للمجتمع، شأنها شأن معظم المبادرات، فإن المحطة تجسّد بديلاً أفضل للحكومة، بديلاً يحتضن التنوّع بدلاً أن يسيء استخدامه من أجل إحداث شقوق لا نهاية لها داخل المجتمع اللبناني.

منذ الإنفجار، تعين على اللبنانيين القيام بمهام متعددة والقلب مكسور. فكان لا بد لهم من تنظيف المدينة، والحداد على الضحايا، والإحتجاء، والمطالبة بحلمهم الطوباوي بدولة مدنية شاملة، وبالعدالة الاجتماعية والمساءلة. أحد الدروس التي يمكن أن نستخلصها من المأساة هو أن القوّة تكمن في جهودنا الموحّدة. ليس مقدر لنا أن نعيد في كل مرّة بناء ما دمّرته الأيدي الفاسدة. لا بل أن هذه المأساة أعطتنا دافعاً أقوى لإحياء مطالب ثورة المرين والتشبّث بما نحتاجه: العدالة للضحايا وحياة كرية للناجين.

شهادات من متطوّعات ومتطوّعين

وسط الغبار وشظايا الزجاج

نسيم س. زويني نيحا-الشوف-جبل لبنان



الأشرفية، بعد 25 ثانية.

- آلو ماما، وقع إنفجار كبير في بيروت وأنا بخير.

- وقع إنفجار كبير في بيروت وأنا بخير.

- يا إلهى! لقد سمعت للتوِّ!! ماما، هل أنت أكيد أنَّه لم يحصل لك شيء؟ - نعم، لهذا السبب أنا أتّصل بك. على الإسراع لكي أتفقّد جيراني، أحبّك،

جلست للحظة وأنا غير مصاب بأيّ خدوش، ثم تفحّصت الأبواب والنوافذ الممزّقة والمصاريع الخشبيّة الحمراء التقليديّة المبعثرة فوق أثاثى وأرضية المطبخ وسريري. وقفت، وما زلت أشعر بحبيبات الغبار التي خدشت أذنيّ لجزء من الثانية. فتحت حقيبتي: زجاجة ماء، زجاجة كحول، علبة مناديل، وأقنعة وقفازات من اللاتكس. ألقيت نظرة من الشرفة، كان المنظر مروّعاً. ركضت لأتفقّد جارتي ذات الثمانين عاماً، إنها بخير. هرعت عبر السلالم ووصلت إلى الشارع. لم يكن سوى شارع... ركضت نحو مبناي، أمسكت خوذة دراحتى وهكذا بدأت الرحلة. في فترة معيّنة، كان من المفترض أن أسير في أحد الشوارع، ولكن بدلاً من ذلك كنت أسير فوق شظايا الزجاج، وأغصان الأشجار، والألومنيوم المكسور، والأحذية، والوسائد، والأبواب الممزّقة، وحتّى أجهزة إستقبال الأقمار الصناعية... كان حشدٌ من الناس يصرخون كالزومبي وهم يشقّون طريقهم وسط هذه الفوضى. وبينما كانت عيناي تعجزان عن تصديق ما كنت أراه حينها، كانت كلّ الأضرار، والدخان، والدمّ، وأصوات صراخ الأطفال وكبار السنّ الذين يئنّون بشدّة، أكثر حدّة من أصوات صفّارات الإنذار التي كانت تدوّي في ذلك اليوم. أتذكّر كلّ الوجوه التي رأيتها، وما زلت أسمع أولئك الذين طلبوا مساعدتي، وما زلت أتذكّر نوع جروح كلّ واحد منهم وحجمها. أتذكّر كل أولئك الذين لديهم امتنان كبير بأننى لم أصب بأذى جسدي وقادر على المساعدة. ولكن في خلفيّة هذا المشهد الفوضوي، يبقى إطارٌ واحد لا يغيب عن نظري أبداً، وهو شيء لم تعرضه حتّى أكثر إنتاجات هوليوود ابتكاراً: متجر الخدمات الجنائزية المدمّر بتوابيته المكشوفة والمكسورة المتناثرة على أرض المحلّ وفي كلّ أنحاء الرصيف المجاور... غريزتي للمساعدة دعتني إلى الركض نحو مستشفى القديس جاورجيوس، حيث افترضت أنّ جميع الجرحى سيتدفّقون إلى هناك للعلاج، حتّى أَمْكُن من التبرّع بالدم والمساعدة في تهدئة الناس وتقديم الإسعافات الأوّلية في مداخل المستشفى. ساعدت في تنظيف بعض وجوه الجرحى في طريقي، وأعطيتهم المناشف للضغط على جراحهم. واصلت المشي، ولم أجد أيّ مستشفى... بعد 25 دقيقة. كان الناس، والمصابون، والطاقم الطبّي، والأسرّة يخرجون من المستشفى بدلاً من الدخول إليها... رحت أرتجف... وقلت "هذا هو المكان حيث يأتي الناس لطلب المساعدة"، لكنّه أصبح خارج الخدمة... في تلك اللحظة، تحوّل الغبار إلى ضباب في عينيّ، وفي كلّ النواحي، وصفّارات الإنذار، وصوت الزجاج المكسور تحت أقدام الذين يركضون مذهولين، كلّ ذلك اختفى لبضع ثوان. فجأةً، كسر صوت صراخ حادٌ هذا الصمت الإفتراضي: "فليات احدكم لمساعدتي، بسرعة "دخيلكن"، فليات احدً لمساعدتي". نظرت عيناً ويساراً فرأيت إمرأة تسرع عائدة إلى شقّتها من شرفة طابق علوى لمبنى مجاور. أحصيت الشرفات، إنّه الطابق السابع، فبدأت صعود السلالم وأنا أدوس على أبواب خشبيّة مكسورة، قضبان من الألومنيوم، شظايا زجاجية وسقوف متساقطة. بينما كنت صاعداً وأنا أحسب الطوابق للوصول إلى الطابق السابع، شاهدت خمسة خطوط حمراء موازية تصعد على جدار الدرج. كان خطاً لم أكن أعرف من أيّ طابق انطلق، ومع ذلك كنت

أقول لنفسى "جيّد. جيّد. أنا سعيد لأنه استطاع النجاة وخرج..."

الطابق السابع. "سيّدقي... سيّدقي... أنا هنا يا سيّدتي". صرخت بأعلى صوتي. فأجابتني: "رجاءً تعال بسرعة، إبنتي محاصرة في الداخل، الباب أغلق بعنف وجين لا تردّ عليّ [يادلّي أنا]". وطأت على الأثاث المحطّم والقواطع والأبواب المخلوعة، متّجهاً نحو الباب المشار إليه وقلت لنفسى: "لا أريد أن أجد شخصاً تستحيل مساعدته، من فضلك ليس الآن، من فضلك ليس بعد".

"جين، إذا كنت تسمعينني إبتعدي عن الباب". أمسكت المقبض وبدأت أركل الباب حتى فتحته. إلى يميني، كانت فتاة ذات شعر بني فاتح في العشرينات من عمرها مستلقية على ظهرها. كان وجهها شاحباً وعيناها مغمضتين، لا دماء على جسمها، وركبتها كانت مخلوعة، وورائي أمُّ تصرخ ظناً منها أنَّ إبنتها لم تعد معها بعد الآن. لقد لمست معصم جين، النبض موجود. "لا تقلقي يا سيّدتي، لقد أغمي عليها فقط بسبب الصدمة، إنّها لا تزال معنا". قمت برشّ بعض الكحول على منشفة، وجعلتها تشمّها، ثم صرخت بإسمها حتى فتحت عينيها. لقد نسيتُ نهاية العالم وعلقتُ في تلك اللحظة. سألتها: ما اسمك؟ قالت "جينيفر". أدرت وجهي نحو الأم وقلت: "هل ترين؟ إنّها بخير، إنّها بطلة!". ثم نظرت إلى جين التي كانت لا تزال تمسك منشفة الكحول وتشمّها، وقمت بتثبيت رقبتها، ونظرت في عينيها وقلت لها: "أنا أبتسم لك الآن إبتسامة عريضة جداً، إنها تحت القناع، لكن ثقى بي، إنها عريضة جداً أيّتها البطلة!". لم أستطع تحريكها، إذ كنت قلقاً للغاية بشأن ركبتها المخلوعة، ومع ذلك كنت قلقاً أكثر حول كيف سيحملونها فوق الدرج المكسور لمسافة سبعة طوابق، وفوق كل ذلك إنتابني قلق مروّعٌ: أيّ مستشفى ستستقبلها؟ لم يستغرق الأمر سوى بضع لحظات من الضغط على يدها لمساعدتها على البقاء مستيقظة، حتى اندفع أحد أقارب العائلة عبر الباب. عندها، شعرت بالاطمئنان أنهم ليسوا ممفردهم ومكنني التوجّه نحو مهمّتي التالية في زاوية لا اعرفها... لقد رويت هذه القصّة لأصدقائي وعائلتي مرّات لا تحصي، وتقريباً لأىّ شخص سألنى عن تلك اللحظات أثناء تطوّعي في المنطقة المتضرّرة. كنت أترك الشوارع فقط لآخذ قسطاً من الراحة في الليل، وقلّما كنت أنتظر مكافأة.

بيروت في عيون متطوّع غدی بشناق جبل لبنان

من أرض السياحة والحبّ والحياة إلى أرض الخراب والأنقاض والدموع. أصبحت بيروت أرضاً قاحلة بعد انفجار الرابع من آب الذي حطِّم كلِّ نافذة وباب، وكلّ أمل على بعد أميال من منطقة الإنفجار. يؤلمني، كمتطوّع منذ اليوم الأوّل، أن أرى قطعة من قلبي تنزف دماء بريئة من جرّاء الفساد وإهمال الحكومة. لقد رأيت، وأنا قادم من الجبل لمساعدة جميع أخوتي اللبنانيين، جانباً من لبنان لم أره منذ فترة، بالإضافة إلى القلوب المحطّمة، والحاجة الهائلة إلى المال والتصليحات، ودموع المصابين نفسياً وجسدياً؛ لقد رأيت الأمل والوحدة في أمّة كانت تخشى الحرب الأهليّة. كان الناس، ولا يزالون، يلملمون بيروت قطعةً قطعة، ويزيلون التراب عن ما كان إقتصاداً في ما مضى، على أمل بناء دولة خالية من الدين وخالية من الفساد، لجميع أبنائها الوطنيين. دعونا نبن وطناً جديداً للأشخاص الذين يستحقّون هذا البلد ولم يدمّروه. دعونا نحرّر عقولنا ممّا قادنا إلى هنا. دعونا نبن دولة خالية من العوائق والقيود. دعونا نذرف دموع الفرح والأمل في بلد يحبّ فيه الناس

ويبقى الأمل...

ساندرا شهیّب جبل لبنان

منذ بضعة أشهر، كرّست مجموعة قصائدي الإنكليزية في الجامعة لمدينة بيروت. كتبت قصائد تصف تفاصيلها. المباني القدعة والجديدة. الشوارع وروح الشعر في كل زاوية. كفتاة تعيش في الجبل، كان لديّ دامًا شغفٌ بتلك المدينة. خطّة لحياة ومسيرة مستقبليّة في بيروت. والآن، إذا كان عليّ أن أصف الأسبوع الأوّل بعد الإنفجار، فسأقول أنّه كان متطابقاً. أستيقظ. أستقلّ الحافلة. أذهب إلى بيروت. ننقسم إلى مجموعات. نقدّم المساعدة والمعونة. نعود إلى المنزل. كانت مجموعة كبيرة جدا من عاليه تتوجّه إلى بيروت يومياً للمساعدة. كنّا نأخذ في اعتبارنا إحتياطات معيّنة، إذ كانت الأقنعة والمعقّمات اليدويّة موجودة طوال الوقت. يجب أن أعترف بأنّني لم أركّز في ذلك الوقت، كلّ ما أردت فعله هو المساعدة. لقد عرضت مهاراتي في الإسعافات الأوليّة بصفتي طالبة تمريض. ساعدت في رفع الأبواب والنوافذ المكسورة. في تنظيف بقع الدم عن الأسرّة وعن الأرض. في الأسبوع الأوّل، فقدت الإحساس بكل شيء، وكلّ ما سمعته هو صوت الزجاج المحطّم الذي يتمّ تنظيفه. بعد ذلك بأيام، فهمت أخيراً. لقد أضحت بيروت بكلّ ذكرياتنا

وأحلامنا محطِّمة. لا أعتقد أنّ الكلمات قادرة على وصف هذا الشعور المريع. لكن، بقوّة الشباب، يبقى لدينا الأمل بأن نبنى بيروت من جديد.

أهكذا تعامل بيروت؟

دجى مكحّل رياق-البقاع

بيروت صرخة البحر الأولى كما عبّر يوماً الشاعر محمود درويش، وستّ الدنيا



كما ترنّم نزار قباني العظيم... بيروت الحضارة والفنّ والفن والمدنيّة... لقد صرَخَت بيروت من الوجع، وما أصعب صراخ المدن العظيمة. أهكذا تعامل بيروت؟ أهكذا تعامل الحواضر العظيمة؟ "ما قدرت شوف الَّلي صار فيكي یا بیروت، ببیوتك، بناسك، بشوارعك، بطرقاتك بكل شي صرلك. ما قدرت ما كون تاني يوم الحادثة تحت عم قدّم كل طاقتي ومجهودي بأيّ نوع من المساعدة، مع إنّو طاقتي تِلْفِت بس شِفتك مدمّرة يا بيروت، بس استرجعتها لأنّو آمنت إنّو ما حدا راح يلملم خرابك إلّا شبابك، وأهلك، وكل حدا عندو ذكرى حلوة بشوارعك، هوّي اللي قادر يرجّعك للحياة. وفعلاً قدرنا على مدّة أسبوع، كمتطوّعين نبلسم بعض من الجراح، ومسح دمعك يا بيروت، ونلملم الخراب، وننظِّف طرقاتك بالمكنسة والمجرود، اللِّي كان كلِّ شبّ وصبيّة حاملينن على أكتافهم ورايحين يشيلو هل بشاعة هالبشاعة اللَّى شوَّهتك يا بيروت الحلوة، لأنّو ما بيلبقلِك إلّا الأحلى. ما حدا بيقدر يغتالك يا بيروت ولا يمحي البسمة عنّك. يمكن قدروا بيوم أو يومين، بس رح ترجعي متل زمان... كرمال الحضارة، كرمال البحر الأزرق، كرمال الناس اللّي تحضّروا، وتعلّموا الفن بهالمدينة العظيمة". سامحينا يا بيروت... سامحينا

مأساة لا تُوصف رامونا خوري جزين – الجنوب



إنها واحدة من تلك الذكريات، التي تعلق وتصبح كابوساً. دقائق، ثوان، مَكّنت من أن يكون لها تأثير أكبر من سنوات. في يوم كان يبدو طبيعياً، كنت في مستودع الجمعية التي أعمل فيها. كنت متحمسة جداً. هذا الشعور كلّه تبخّر في لحظة، وتحوّل إلى غياب تام للمعرفة. هل هو زلزال؟ إنفجار؟ زوبعة؟. هرولت على الفور على درجات المستودع اللامتناهية للعثور على زملائي، ولمعرفة ما إذا كانت الحياة لا تزال تسود في هذه الفوضى التي لا توصف. كانت نبضات القلب المليئة بالقلق مسموعة في الأذن المجرّدة. إنها مأساة، إنّه حجاب أسود خيّم بظلمته على الأمل. كان لا بدّ من أن أتصل بعائلتي، أصدقائي، أحبّائي لأرى ما إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة... على الرغم من إضطرابي. في اليوم التالي، قمت بجولة سيراً على الأقدام في أزقة بيروت. كنت أبحث، ويدي على قلبي، عن الأطفال الصغار الذين ليس لديهم أمّ سوى الشارع... الأمل. هذا الأمل الذي رأيتُه بعيون الشاب الذي قدّم لنا الطعام، والمارّين في الأمل. هذا الذين لم يبخلوا علينا بالماء أو على الأقل بكلمة جميلة تقدّر تعبنا ...

شيء ما تدمّر في قلوبنا

غنوة ملحم بترومين – الكورة – الشمال

إسمى غنوة ملحم، عمرى 19 سنة، ثالث سنة جامعة. أدرس العلاج الفيزيائي، وأسكن في بترومين - الكورة. بتاريخ 4 آب، كنت موجودة في جبيل عند الساعة 6:08. سمعت صوتين قوييّن، إعتقدت أنّ شيئاً ما حدث في جبيل. في غضون 5 دقائق، بدأ والديّ الإتصال بي كي أعود الى البيت فوراً. بقي الصوتان مجهولان لا أعرف سببهما أو مصدرهما. بدأت الأخبار والإشاعات تتناقل حتى وصلت إلى البيت، ورأيت مدى قوّة الإنفجار. عندها وقفت مذهولة وقلت ما هذه الكارثة. في اليوم التالي، بعد مشاهدة كل الدمار على مواقع التواصل الإجتماعي، أحسست بشيء غريب في داخلي يشبه الغصّة. كنت دامًا أشارك في نشاطات رياضيّة إنسانيّة (مثل كرة السلّة على الكراسي المتحركة)، أو في أيّ مساعدات يحتاجها الناس. لكن هذه المرّة كانت القصة مختلفة، إذ شعرت أنّ هناك واجباً وطنياً يناديني ويضاهي بأهميّته الواجب الإنساني. إتصلت بأبي لأخبره عن مدى رغبتي في النزول إلى بيروت. كان متردّداً أولاً بسبب المسافة والوضع الصحّي، لكنه وافق في النهاية واشترى لي قفّازات سميكة. في صباح اليوم التالي، إستيقظت عند الخامسة فجراً، جهّزت نفسي وتوجّهت إلى البترون. من هناك، إنطلقت ضمن مجموعة واتجهنا نحو بيروت. عندما بدأنا الغوص في المناطق المتضرّرة كنت أكتشف كميّة الأضرار، وأشعر بغصّة تزداد كلما تقدّمنا نحو المناطق المنكوبة. وصلت إلى مستشفى الجعيتاوي، مصدومة بما أراه. رأيت المبنى أو المكان، حيث من المفترض أن يشعر الإنسان بالطمأنينة لتوفّر الخدمات التي تساعد في شفائه، مدمّراً. هناك دماء على الدرج وعلى أسرّة المرضى، فيما الزجاج في كل مكان. قسم الطوارئ حيث تُستقبل الحالات لكي تعالج بسرعة، أو حيث يتمّ إدخالها المستشفى للمعالجة، مدمّر. بدأت عملية التنظيف. عملنا شباناً وشابات يداً واحدة. كنا نصعد إلى جميع الطوابق وندخل إلى كل الغرف. كنا نشعر بكميّة الرعب التي كانت موجودة لحظة الإنفجار. بعد ذلك، ذهبت إلى مركز "Appui" في الأشرفية. وهو عبارة عن مركز للعلاج الفيزيائي / orthopédagogie / orthophoniste dorms. إستوقفني شيء لا يسعني نسيانه. كان هناك مكتب مليء بالزجاج، وبسبب قوّة ضغط الإنفجار علقت قطع الزجاج في الحائط المقابل، مخلّفةً فجوات صغيرة فيه. كنت أتخيّل أنه لو كان هناك شخص أو ولد صغير في هذا المكان، لكان الزجاج قد مزّقه تمزيقاً. كانت كل غرف الـ dorms محطّمة ومدمّرة. عندما قررت أن أستريح وجدت كميّة من غبار الزجاج على جبيني، فتذكرت أنَّ الزجاج شقَّ أجساد الناس بلا رحمة. إستوقفتني في الأحياء قصص الناس. كنت أرى أشخاصاً جرحى بيوتهم محطّمة، يجلسون على الكراسي خارج منازلهم. ورأيت أيضاً إمرأة فقدت عائلتها ومنزلها تحمل كيساً هو كل ما باتت مّلكه، وتتجه إلى منزل أختها. مرّ كل ذلك، ودموعى كانت تخونني. عندما كنت أتوجّه إلى بيروت، لم أفكّر ببعد المسافة وما إذا كانت الطريق خطرة، علماً أنَّني عدت في الباص ولم أشعر بالخوف. إنَّ المسافة في الوطن نفسه هي واحدة، كلّنا نتوحّد في كل لبنان عندما يمسّ الوطن خطر ما. لقد شاءت الظروف أن لا تسمح بنزولي إلى بيروت كثيراً. لكننى لم أستسلم، فقد شاركت في توضيب المساعدات للعاصمة، وقمت أيضاً في الجامعة بتوضيب مساعدات إلى المنكوبين. لم يكن معظمنا موجوداً في لحظة الإنفجار، لكننا شعرنا بشيء ما تدمّر في قلوبنا. صوت الإنفجار، صوت التكسير، صوت صراخ الأُمّهات والأولاد، دمعة ذوي الشهداء، كلها أشياء لن تُنسى. كنت أرغب سابقاً في مغادرة لبنان. لكن بعد نزولي إلى بيروت ومشاركتي في إعادة الروح إليها، ورؤيتي الشباب من كل لبنان، من شماله إلى جنوبه وصولاً إلى بقاعه، غيّرت رأيي. هؤلاء الشباب لم يشاركوا في أيّ إنتخابات سابقة لبناء الدولة القديمة. الذين شاركوا في التنظيف هم الأغلبية، وهم كانوا الدولة في غيابها. الآن، أنا أرى بصيص أمل للبنان مصدره كل هؤلاء الشبّان والشابات. رحم الله الشهداء.

حتى تنهض بيروت مجدداً ديا قاسم القبّة – طرابلس

إسمي ديما قاسم. عمري ١٩ عاماً. أنا طالبة في الجامعة اللبنانية، إدارة أعمال، سنة أولى، من القبة - طرابلس. تطوّعت في جمعية "Shiff" ضمن حملة "معاً لبيروت"، للتخفيف من آثار الإنفجار المرعب الذي حصل في مرفأ بيروت، والذي سبّب خسائر هائلة في المنطقة وأثر على كل الوطن. منذ أن علمت في هذه الحملة، راودني إحساس رهيب لجهة تقديم المساعدة في أيّ نوع من المجالات. خضعت للتجربة في اليوم الأوّل، ومنذ ذلك اليوم شعرت وكأن وجودي مهمّ ومشاركتي أهمّ، خصوصاً عندما قال لي أحد المتضرّرين "نسيّتوني همّي.. نحنا منكبر فيكن وإنتو فخر لبنان"، زاد حماسي أكثر وشجّعني أكثر على المشاركة. حديثي اليومي أصبح بيروت والإنفجار والعائلة المتضرّرة، ممّا شجّع أخوتي على المشاركة معي، وهنا بدأت رحلة التطوّع العائلية. للمرّة شجّع أخوتي على المشاركة وعمل تطوّعي، فهذه التجربة علّمتني الكثير وزادتني

خبرة ومعرفة (كالتنظيم والقيادة وروح التعاون في المجتمع). أنا الآن فخورة جداً بنفسي من ناحية تعليم أخوتي الصغار وتشجيعهم على المشاركة في أعمال كهذه. أشكر جمعية "Shift" على دعمها المعنوي ومساهمتها في تطويري نحو الأفضل. أنا من المثابرين، وسوف أكمل هذه المبادرة لكي تنهض بيروت من جديد، علماً أنني سأتقن كل الأشياء التي يمكن أن تفيد الأحياء المتضرّرة.

من قلبي سلام لبيروت مرح عطية صيدا - الجنوب

إهترّ البيت وارتجف قلبي خوفاً. هرعت نحو التلفاز وكلّ ظني أنّه زلزال هزّنا بقوّة. هناك كانت المفاجأة، معظم المحطات الفضائية تنقل خبراً واحداً، "إنفجار ضخم يهزّ العاصمة اللبنانية بيروت". ظهرت التفاصيل، الإنفجار في مرفأ بيروت، خيّل إلى أنّ وحشاً يبتلع عروس لبنان ويعنّفها حرقاً، ويرسّ الحزن والمأساة في قلوبنا التي انفطرت عليك يا بيروت. بيروت المدينة التي طالما كانت تتلألاً زهواً، وهي تسكن بين البحر النائم على شاطئها والجبل المتكئة عليه. في اليوم التالي، ومع سخونة الأحداث، تلقيت رسالة دعوة للإنضمام إلى مبادرة شبابيّة في مركز "الجنى" في منطقتي، وادي الزينة. أوضح الإعلان أنّ المبادرة مدعومة من منظمة "اليونيسف" للملمة الجراح وتنظيف أراضي بيروت المنكوبة من جرّاء تلك الفاجعة. إنضممت إلى المبادرة مع العديد من الشباب والشابات. ذهبنا إلى بيروت، وحين وصلنا إلى الأحياء أدركت الفارق بين صورة تشاهدها على التلفاز، وواقع تشاهده بعينيك. فطرقات الأحياء الأكثر تأثراً بالتفجير كالجميزة والكرنتينا ومار مخايل، يصعب وصفها. لقد أصبحت مليئة بالرماد الأسود الداكن، وكأنّ الأرض ارتدت السواد مواساة للحبيبة بيروت. رأيت بيوتاً سقطت جدرانها وأطلّت على المجهول. الزجاج مبعثر في كل الأرجاء، تقاطعت في سمعى صرخات الأمّهات في التلفاز مع

أنينهن في بيوتهن حين دخلنا إليها، فسنوات من التعب، ذهبت بلحظة. ولعل وجودنا كمتطوّعين في هذه المبادرة، ومبادرات أخرى من مختلف المناطق والأديان والطوائف، ساهم في بلسمة جروح بيروت وأهلها. ففي بيت فقد أهله مأواهم، كانت وجوه الشباب بينهم مثابة مأوى، ولو بشكل معنوي. فقد شعرت تلك الأسر أنها ليست وحدها، وأنّ فريقاً كفريقنا المكوّن من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين، نظف الشوارع والبيوت، وأزال الركام، ومسح دمعة أمّ مّنّت لو أنها تستطيع أن تعانقنا واحداً واحداً، كما قالت.

ترك المشهد أثراً عميقاً في داخلي، وكأنّ شيئاً منّي قد استشهد. ورغم كلّ الأحداث المؤلمة بقينا يداً واحدة، سنداً لبعضنا البعض؛ فيما أبواب بيوتنا مشرّعة لأهالي العاصمة. آه يا بيروت، أنا إبنة مخيّم. عشت لاجئة فلسطينيّة في سوريا، وجئت إلى لبنان هرباً من الحرب هناك. ما حلّ بك يا بيروت فاجعة كأنّها الحرب.. وأنتِ يا بيروت.. آه يا بيروت.. أنتِ المعتادة على الحبّ كما الحرب.. كم أوجعتنا يا بيروت.. كم نحبّك يا بيروت.. من قلبي سلام لبيروت.

إعادة بيروت إلى ما كانت عليه

أنطوني فغالي الأشرفية – بيروت

5 آب 2020، اليوم الأوّل بعد ليلة سوداء لم نرَ فيها طعم النوم. اليوم الأول بعد الخراب الذي أصاب مدينة بيروت، مسبّباً أضراراً كبيرة في العاصمة. لم أتردد لحظة بالنزول إلى شارعي مار مخايل والجميزة للمساعدة، على الرغم من أننى أسكن في منطقة الأشرفية، وبيتي تضرّر كثيراً. لم تكن مار مخايل والجميزة كالمعتاد، بل كانت تعيسة، كانت بالفعل منطقة منكوبة. السيارات مدمّرة، الزجاج المطحون علاً كل الشوارع، والأبنية تشبه أبنية الحرب المجرّدة من النوافذ والشرفات. كنت أتساءل عما إذا كانت هذه المنطقة ستعود إلى ما كانت عليه قبل النكبة، وتعود الحياة الليليّة إليها. لم نكن غلك أي آلة تنظيف للمساعدة، لذا كان توزيع المواد الغذائيّة الوسيلة الأولى التي ساعدنا فيها أهالي المنطقة، إلى أن تعرّفنا على عدد من الشبان والشابات الذين تعرّفوا أيضاً على بعضهم البعض من خلال الشارع، وتوجّهنا سويّاً إلى بيت في آخر منطقة الجعيتاوي."عن جدّ إنتو عم تساعدوا بلا مقابل؟"، كان السؤال الأوّل الذي طرحه صاحب المنزل المدمّر، فقد تفاجأ بنا، وراح يخبّر الجيران عنّا كشباب وشابات جئنا للمساعدة. "حكيتو بعض وجبتو مكانس وجيتو؟". "لا يا عمّ، نحنا ما منعرف بعض، كل واحد منّا من منطقة، ومش كلنا من بيروت ". وفعلاً، لم نتعرّف على بعضنا البعض سوى من بضع دقائق، فالشباب والشابات الذين كانوا حاضرين على الأرض، كانوا فعلاً من كل المناطق ومن كل الطوائف، يعملون بجهد كبير لإعادة بيروت إلى ما كانت عليه من قبل. إنها المرّة الأولى التي أرى فيها مدينتي بهذا الشكل. خراب ودمار في كل أحياء بيروت. إنّه الإحساس الذي دفعناً لاستكمال المساعدة على مدار الأسبوع. الشعب هو الدولة، إنّها الدولة التي يتمنّاها كل مواطن، أمّا الجملة التي كنت أسمعها منذ صغري وحتى اليوم: "شو رح يطلع من جيل كسلان، وجّو بوجّ التلفون كل النهار؟". هذا الجيل يعمّر بيروت اليوم، وسيبقى يعمّر حتى تصبح بيروت فعلاً سويسرا الشرق.

أكثر من مجرّد عمل وواجب

دارین درویش طرابلس – الشمال

عند وقوع الإنفجار، وللوهلة الأولى تملكنا جميعاً شعور بالخوف، بعده مباشرةً شعور بالإندفاع للمساعدة والتوجّه المباشر إلى موقع الإنفجار. على الرغم من الوضع الصحّي السيىء، تولّد شعور بالمسؤولية لدى الجميع، وأنا أحدهم. يمكن القول إنّ الحالة النفسيّة التي طرأت علينا جميعاً عقب الإنفجار دفعتنا إلى التفكير السلبي كما أنّها أثّرت على الجميع، ولا سيّما أهالي بيروت المحيطين بالمرفأ - "البور".

لكن عند الولوج إلى المنطقة أو المناطق المتضرّرة، يعجز لسانك عن وصف أو استيعاب حجم الخسائر البشرية والماديّة! ما يدهشك أنّه، وعلى الرغم من المآسي الحاضرة أمامك، ترى الأهالي يساعدون الذين تضرّروا أكثر منهم. كل هذا يدفعك إلى نسيان الخوف وتعلّم القوّة من أهالي بيروت، حيث ترى شعورك يتحرّر من كونه مجرّد عمل وواجب ليصبح علاقة أخوّة وانتماء.

بيروت مدينتي

حسن شمعون النبطيّة – الجنوب

لقد كانت مأساة للبنان. لم أكن شخصاً يحبّ الذهاب إلى بيروت، ولكن بعدما لمست الروحيّة التي يتعامل بها الناس هناك، وقعت في حبّ هذه المدينة. كنا نعمل مع غرباء من مختلف الأديان، والخلفيّات والبلدات كعائلة واحدة. لم أشعر يوماً بالأمان في مدينة تعرّضت للتفجير كما شعرت في بيروت، وكلّ ذلك بسبب الشعب والوحدة التي تمخّضت عن هذه الكارثة المأساوية. ورغم أنّي من النبطيّة، لكنّني بتّ أشعر الآن أنّ بيروت هي مدينتي.

بيروت... مولودة بملاءة من ردم بيرلا الراعي العقيبة – جبل لبنان

بيروت التي رأتها عيناي ليست ستّ الدنيا. الستُّ عادت طفلةً في عالم الطفولة البائسة. فتغيّرت معالمها من عجوز صلبة ومتماسكة وصامدة إلى طفلة هشّة ورعناء ومتضعضعة. شحُب وجهها، خفتت ضحكتها، ونُزعت براءتها. بعد أن كانت ستٌ حاضنة للآلاف، غدت طفلةً بلا مأوى تبكي دماً بين الركام. أهكذا تكون الطفولة؟ فالذي يَلد طفلةً مسلوبة الحياة، سيراها حتماً ناقمة وثائرة عليه يوماً. لكنّ بيروت لم تُترك. فشاباتها وشبابها أزالوا عنها الرماد، ولا يزالون يحاولون جعل ولادتها التعيسة قيامةً وتجدداً لوطنهم. ، وستكبر على أياديهم، وينبض قلبها ثورةً. يبقى على "الطفلة بيروت" أن تتعلّم أهميّة المحاسبة كي تصبح ستاً لا تُهزم يوماً.

بصيص أمل فاطمة نعيم الجنوب

الخامس من آب، أيّ اليوم الذي تلا كارثة إنفجار المرفأ، لم تستيقظ العاصمة بيروت على صوت فيروز، إمّا على آهات الأمهات ونحيب الأباء. أمّا أنا فقد استيقظتُ على ألم في صدري، صوتِ في داخلي يردد: "كفّي عن البكاء، وانهضي علُّك تجدين سبيلاً للمساعدة." توجِّهتُ إلى ساحة الشهداء، حيث تجمّع عددٌ من الشبان والشابات ليقدّم كلّ واحد منهم المساعدة بحسب قدراته. توزّعنا على ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى مهمّتها إزالة الردم والأنقاض، الثانية توزّع مواد غذائية، أما الثالثة فهي تضمّ مسعفين ومسعفات. إنضممت إلى المجموعة الأولى، وانتظرت دوري للحصول على مكنسة وقفّازات كتلك التي تستخدم في عمليات ورش البناء، وخوذة تحمى الرأس. لكنّ انتظاري طال، فالمعدّات لا تكفى الجميع، لذا حاولنا جاهدين البحث عن من يتبرّع بمعدّات أخرى. بعد ثلاث ساعات من الإنتظار، وصلت سيارة محمّلة بالمعدّات ومَكّنت من الحصول على معدّات سأستعملها. توجّهتُ مع مجموعة من الفتيات، إلى منطقة الجعيتاوي وعندما وصلنا ذهلتُ بالمشهد، وتوقّف الكون لبرهة. فهل حقاً هي نفسها تلك المدينة التي كانت تضجّ بالحفلات؟ وهل هم أنفسهم الأشخاصُ التي لم تفارق البسمة وجوههم في الأيام الماضية؟ من أين سنبدأ وكيف سننتهي؟ الألم كبير والخراب أكبر. بدأنا بتنظيف الشارع المليء بالزجاج وأشياء أخرى تساقطت من المنازل، ككتاب لشاب عشريني ربّما كان يقرأه قبل الإنفجار بدقيقتين، ولعبة لطفلة صغيرة أجهل مصيرها الآن، ودواء ربّا لامرأة مسنّة، ليس في استطاعتها شراء غيره... بعد وقت من العمل، حان وقت تسليم الأغراض ليأخذها شخص آخر لم يحالفه الحظُّ بتقديم المساعدة بعد. غادرتُ والدموع تنساب على خدّي. فكلّ من زار بيروت يعرف أنّها عروسة لبنان الجميلة، وسيّدة لا يصيبها الكبر مهما عصفت الأيام بها، أمّا الآن فالعروسة فقدت زوجها والسيدة بدأت تشيب... لكن، في كل كارثة يبقى بصيص من

بيروت تحبُّ لاجئيها

إياد تيسير

صحافى فلسطينى

تشير الساعة إلى السابعة مساءً. تأخر أحمد عن موعده في صالون الحلاقة الرجالية. إستغرب الحلاّق ذلك، فأحمد خطبته اليوم، وكان قد أكد الموعد مراراً.

إنتظره علاء صاحب محل الحلاقة مطوّلاً. تراكضت عقارب الساعة وأشارت إلى الثامنة مساءً. تأكد علاء أن أحمد لن يأتي، فحفل الخطبة سيكون في التاسعة، ومن المحال أن يستطيع أحمد التحضير للحفل في ساعة واحدة فقط.

لم يذهب أحمد إلى خطبته أصلاً. أرسل الى حبيبته رزان رسالة صوتيّةً قصيرة، معلناً فيها تأجيل الحفل، وطالباً منها إخبار أهله أيضاً لأنه لا يمك الوقت لإخبارهم بذلك.

كان أحمد ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر. فبعد تجاوز كل العقبات المادية، ها هو حلمه قد تحقق وسيرتبط برزان رسمياً. ظل أحمد يؤكد لعلاء يومياً على مدار أسبوع موعده في الصالون. اشترى ثياب الخطبة، ودعا كل أصحابه وأصدقائه إلى الحفل. وأخيراً سيرتبط برزان، حلم عمده.

وقع الإنفجار الهائل. شاهد أحمد سحابة الدخان كما شاهدها كل سكان بيروت. ظهر مئات المستغيثين على شاشات التلفزة، فيما كانت سيارات الإسعاف تصرخ في شوارع العاصمة.

لم يأبه أحمد لحفل خطبته، ولا لأحلامه الكثيرة التي بناها لهذا اليوم. لم يأبه أيضاً لكل الروايات السابقة بأن بيروت لا تحبّ اللاجئين. وعلى عجل، ركب دراجته الناريّة منطلقاً من مخيّمه برج البراجنة إلى مرفأ بيروت موقع الإنفجار.

لم يكن أحمد الفلسطيني الوحيد الذي لبّى نداء العاصمة. فقد توجهت أيضاً فرق الدفاع المدني الفلسطيني إلى المرفأ. وهرع الكثير من الشباب الفلسطيني إلى المشافي للتبرّع بالدم. كما أن المستشفيات داخل المخيمات، وعلى الرغم من إمكاناتها البسيطة، إستقبلت عدداً من الجرحى. حبُّ بيروت لم يكن حكراً على لاجئيها الموجودين ضمن نطاقها الجغرافي. فقد انطلقت حملات شبابية عدة من المخيّمات

الفلسطينيّة في الجنوب والشمال اللبناني للمساعدة في إزالة الردم وأعمال الترميم. شباب عاطلون عن العمل، حرمهم القانون اللبناني الكثير من المهن، وأنهكتهم الصور النمطيّة السلبيّة على أن مخيّماتهم هي بؤر للفساد وللخارجين عن القانون. ذهبوا من أجل إعادة إعمار بيروت، وهم ممنوعون أصلاً من إعمار منازلهم إلا بتصريح. دفعوا من جيبوهم الفارغة، وتبرعوا من مطابخهم الخالية أيضاً. توجّهوا إلى بيروت ليرسموا صورةً غير قابلة للشك ومتجاوزةً كل من وضع العقبات في درب حبّ بيروت للاجئيها؛ وليؤكدوا أن بيروت شقيقةُ القدس. لا يَغِب عن بال أحد أيضاً "حضن الروح" الذي أعطته بعض العاملات الأجنبيات للأطفال الذين يقمن برعايتهم. لقد قاموا فعلاً بالرعاية بأبهى صورها. وعلى الرغم من هول الإنفجار والصدمة الاولية، إلا أن هذه الفئة -التي ينظر اليها الكثير نظرة العبد- كانت ردود فعلها الأولية إنقاذ أطفال تحبّهم بيروت، علماً أن الكثيرات من هؤلاء العاملات قد عانوا من نظام الكفالة المجحف، حتى وصل الحال بالكثير من أرباب العمل إلى رميهن في الشوارع وكأن مدة صلاحيتهن قد انتهت.

كل تلك الظروف كان من الممكن أن تتسبّب بمشاعر كره وحقد من هذه الفئة على بيروت، لكن العكس قد حصل تماماً. فقد نهضت العاملات المنزليات من الشوارع نفسها اللواتي رمين وأذللن فيها، ليشاركن في بلسمة جراح بيروت. لقد عملن من دون مقابل أو طلب من أحد، لكي يثبتن أن بيروت عصية على الإنكسار، وهن أصلاً منكسرات.

ولحسن حظ هؤلاء العاملات وجدت كاميرات توثق ما فعلن، ليس من باب التباهي والرياء بل لِحُبٍ لطالما جرّبن ان يثبتنه بلهجتهن المتكسّرة. لكن تَرَفُعَ بيروت الذي حاول الكثير فرضه، منعهنّ من عكس هذا الحب ليأتي الإنفجار المهول، ولكي يقلن هؤلاء السمراوات الجميلات بأنهن يحببن بيروت ما استطعن اليها سبيلاً...

"بيروت مدينة قاسية، لكنها قاسية بشكل جميل. تشبه قسوة الأم على اطفالها، فهل باستطاعتك أن تكره أمك لأنها ضربتك؟ بالطبع لا، وهذا موقفنا نحن السوريين في بيروت"، يقول أبو العبد، عامل البناء سورى

الجنسيّة والمقيم في لبنان منذ سبع سنوات، وهو يتكىء على مكنتسه أثناء مشاركته في رفع دمار بيروت.

يعمل أبو العبد خلسةً في بيروت لأنه لا يملك إقامة قانونية بسبب القيود التي تفرضها السلطات، من تأمين كفيل لبناني ومبلغ من المال مع عدد من الأوراق، وهذا ما لم يتمكن من تحقيقه.

حمل أبو العبد مكنتسه. أطل من مكان عمله. إنطلق إلى شوارع بيروت جهاراً نهاراً. منذ فترة طويلة لم يُشِ علانيةً خوفاً من اعتقاله. لكنه هذه المرة لم يأبه لخطورة وضعه، ولم يستطع أن يكون متفرجاً على بيروت وهي تنزف. نزل للمشاركة في كفكفة دموع المدينة المكلومة، بعد أن ذرف دموعاً كثيرة في ليلها الحالك.

لو كان هناك مقياسٌ للأكثر تعرّضاً للعنصرية والتمييز، لتصدّر السوريون في لبنان قمّة هذا المقياس بلا منازع. فالمواقف التي عاشها هؤلاء اللاجئون خلال سنوات الحرب، جعلتهم يكرّرون بأنهم هربوا من الموت في بلادهم، لكنهم عاشوه مراراً في لبنان.

لذا، فوجىء كثيرون بالدموع التي ذرفها السوريون على بيروت. بكى السوريون بيروت كما بكوا الشام، وتنافسوا في ما بينهم لإظهار حبّهم لهذه المدينة. فمنهم من رهن محل المعجّنات، مدخل رزقه الوحيد لمتطوعي بيروت، ومنهم من قطع الكيلومترات شمالاً وبقاعاً لإعادة إحياء المدينة المنكوبة. أما القسم الآخر، فزاد في عطائه حتى قدّم روحه ومات في أحضان بيروت، ليشكّل السوريون نسبة الأجانب الأعلى بين ضحايا الإنفجار، وليقولوا إنهم إخوانٌ في هذا البلد، وبأنهم يتشاركون مع اللبنانيين حتى في الموت.

منح انفجار بيروت الفرصة لغربائها لكي يثبتوا حبّهم لهذه المدينة، حيث لم تنفع كل تجاربهم السابقة ولهجاتهم المختلفة بالتعبير عن هذا الحب. ليس رفضاً من المدينة بحد ذاتها، بل من حرّاسها الذين حاولوا تكريس صورتها التي تكره لاجئيها. وها هم حرّاسها قد قادوها حتى الإنفجار، بينما عاد لاجئوها إلى حضن مدينة لطالما أحبّوها وأحبّتهم.

الإغتراب جزء من الوطن لم يبتعد يوماً: دوره في إعادة بناء بيروت

فاطمة ضيا

صحافية

لقد كان للإنفجار الذي دوّى في بيروت في الرابع من آب، أثر كبير على اللبنانيين في كل بقاع الدنيا. ويعيش نحو أربعة ملايين لبناني على الأرض اللبنانية، بينما يعيش حوالى 6 إلى 9 ملايين لبناني في دول الشتات. وفيما أنا أعيد وأعيد مشهد الإنفجار في رأسي، وأتخيّل العاصمة تتهاوى فتاتاً، إنتفض الشتات اللبناني وتحرّك على الفور وكأنه يقول للبنان ولبيروت: "ما حصل مؤلم ولكننا لن نترككم وحدكم". لقد لعب المغتربون في هذه الأزمة دوراً ثهيناً، لا بل حاسماً.

سارع المغتربون اللبنانيون في كل مكان إلى إرسال الأموال لأحبتهم المتضررين من الإنفجار، وأنشأوا صناديق عبر الإنترنت لجمع التبرّعات من أجل تقديم المساعدات الإنسانيّة للصليب الأحمر اللبناني والمنظمات غير الحكوميّة الأخرى ذات الثقة، كما أرسلوا طروداً تحتوي على مساعدات طبيّة ومواد غذائيّة، ولم ينسوا الملابس. والأهم من ذلك كله، عملوا على التعريف بالكارثة على نطاق واسع بين غير اللبنانيين، وحقّوهم على التضامن والمساعدة بالطريقة التي يرتأونها.

قالت السيدة باولا الست، المهتمة بشؤون الأزياء والمقيمة في دي: "لطالما كان الشتات عبر التاريخ الملاك الحارس للاقتصاد اللبناني". ةكنت السيدة باولا، بالمشاركة مع الهلال الأحمر الإماراتي ومدرسة المواكب، من أن تجمع في غضون ثلاثة أيام أكثر من 160 طناً من المساعدات. وتقول في هذا الشأن: "إنه واجب وطني على كل مغترب أن يقف إلى جانب لبنان اليوم بكل الطرق الممكنة".

أما Impact Lebanon وهي منظمة غير ربحيّة مقرها لندن أسسها أبناء من الشتات اللبناني، فقد أنشأت صندوقاً للإغاثة الطارئة وجمعت حوالى 6.5 ملايين جنيه إسترليني لمساعدة المنظمات الموثوقة والتي تعمل ميدانياً في لبنان.

قال بلال ملاعب، أحد مؤسسي Impact Lebanon: "لدينا إيمان راسخ في Impact Lebanon بأن الحركة باتجاه التغيير يجب أن تكون محلية وبأيد محلية، ونرى أن دور الشتات هو التحفيز على التغيير". ويضيف: "لدى الاغتراب مسافة عاطفية كافية تمكنه من الحشد، ولكنه في الوقت عينه مرتبط عاطفياً بشكل قوي وعلى تواصل مع الشبكات المحلية. نعتقد أن إعادة إعمار بيروت جهد وطني يشكل الشتات جزءاً لا يتجزأ منها، ولكن يجب أن يتم بأيد محلية".

حدث الإنفجار في ظل واحدة من أسوأ الأزمات الاقتصادية التي مرّ فيها لبنان، وكانت الأزمة قد تفاقمت أساساً بسبب جائحة كورونا. أظهر تقييم أجرته منظمة العمل الدولية، ومعهد "فافو" للعمل والبحوث الاجتماعية FAFO، وبرنامج الأمم المتحدة الإنائي، ومعها جهات أخرى، أن ظروف العمل والمعيشة قد تدهورت بشكل كامل في لبنان نتيجة الوباء. بالإضافة إلى ذلك، وبسبب الأزمة الإقتصادية، والتي لا علاقة لها بالوباء، يواجه لبنان شيئاً من المجاعة يذكّر بالمجاعة الكبرى التي حصلت عام 1915 حيث أنّ أسعار المواد الغذائية قد ارتفع بنسبة %55 منذ تشرين الأول، حسبما ورد في تقرير صادر عن Business Insider نشر في شهر تموز. وفقاً لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وحسبما جاء في تقرير دار الهندسة، أدى الانفجار الى تهجير ما يقرب من ثلاث مئة ألف شخص، كما أن المصدر الرئيسي للواردات في البلاد، أي مرفأ بيروت، يخضع حالياً لإعادة تأهيل بعد الانفجار. يضيف ملاعب: "المعاناة والبؤس أمران واقعان، ومن حقنا أن نشعر بهما وأن نحزن على ما فقدناه، لذلك لا يجب أن نستهين ما يشعر به أصدقاؤنا وعوائلنا". ورغم كل ذلك، فقد أظهرت الأزمات الأخيرة بشكل جلى أن اللبنانيين عقدوا العزم على الإمساك بزمام حياتهم ومستقبلهم". لقد أنشئت المنظمة كوسيلة يعبّر من خلالها المغتربون عن ولائهم لوطنهم، وهي مبادرة نابعة من حاجة اللبنانيين في الخارج لمساعدة بلدهم عن بعد.

وما كان لهذا التفاني من أجل لبنان إلاّ أن يتضاعف بعد انفجار المرفأ. فضلت ماريا هاج الألمانية اللبنانية ورشا شاهين الإنكليزية اللبنانية أن تقوما بنشر المعلومات حول الوضع في لبنان منذ الانفجار، واختارتا جامعتهما في كينت بإنكلترا للبدء بحملة لجمع التبرعات المالية لصالح جمعيات أهليّة محليّة. تشعر الفتاتان بشيء من العجز لرؤية الوطن مدمّراً ولعدم القدرة على المساعدة على الأرض، كما تقول ماريا. وتضيف رشا أنه بصفتهما لبنانيّتين مغتربتين، يتعيّن عليهما بذل كل ما في وسعهما للتعريف بما حدث في الرابع من آب.

أما مجد فراج وهو طالب طب لبناني أميركي مقيم في ميشيغان، فقد جمع بمساعدة الجالية اللبنانية في المدينة، ما قيمته 70 ألف دولار من اللوازم الطبيّة وأرسلها إلى لبنان.

كذلك الأمر، أنشأ المركز الوطني اللبناني - الكندي على الفور صفحة على موقع go-fund me, تهدف إلى جمع الأموال من أجل اللوازم الطبيّة والمسكن والطعام وغير ذلك. من جهته، سارع المجتمع اللبناني البرازيلي إلى المساعدة، فأطلقت غرفة التجارة العربية - البرازيلية حملة تبرعات للإغاثة الفورية، بالشراكة مع الجمعية الطبية اللبنانية - البرازيلية لتوفير المواد الغذائية واللوازم الطبيّة والأدوية ومواد البناء، وفقاً لموقع الغرفة على الإنترنت. رأت بيروت كيف أنّ أبناءها يقفون إلى جانبها مهما بعدت المسافات. بالعودة الى الست، فقد قالت: "يتوجّب على كل واحد منا أن يساهم كي يقف لبنان مجدداً على قدميه. سوف يستغرق التعافي وقتاً من الزمن، لكننا سنتجاوز هذه المحنة إذا ما وحّدنا قوانا". عند الساعة 25:5 بعد ظهر يوم الأحد، أي بعد الانفجار بأسبوعين، عند الساعة 25:5 بعد ظهر يوم الأحد، أي بعد الانفجار بأسبوعين، أتضح لي حينها أن العيش في بلد آخر ليس أمراً مهماً. بمجرد أن عشت في هذا المكان، فإنك لن تغادره فعليّاً. ورغم كل ما حدث، لا نفقد الرجاء بلبنان أفضل.

السلامة البيئيَّة في إعادة إعمار بيروت نصائح لترميم يُراعي البيئة

محمد مرتضي

مهندس متخصص بالهندسة المستدامة في شركة "إيكو كونسلتنغ"

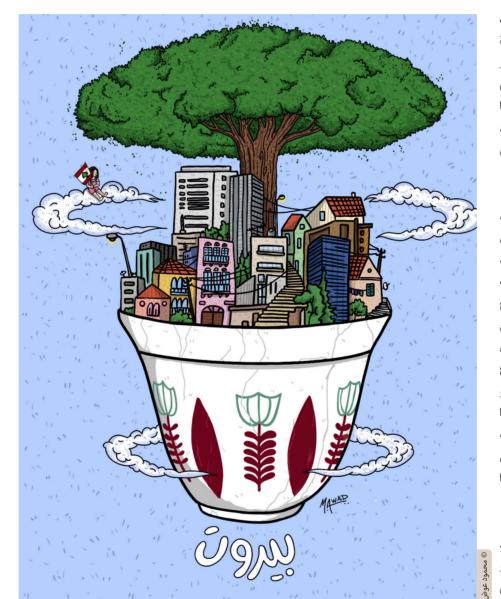
بعد الإنفجار المروّع الذي ضرب بيروت في 4 آب 2020، وقفنا مصدومين وسط أنقاض المدينة التي نحبّ، مفجوعين على الذين قضوا وعلى المباني المتداعية والشوارع التي كانت في يوم من الأيام تنبض بالحياة. يصعب التفكير في التعافي ونحن في خضمٌ هذا الحدث. ولكن كلما أصبحت حاجات الناس للمأوى وللأحياء الصالحة للعيش أمراً ملحاً، كلما أصبحنا ملزمين ألا نقف حزينين مكتوفي الأيدي أمام هول ما جرى. إن الإسراع في إعادة الإعمار هي مسألة ملحة من شأنها أيضاً أن تحقق جزءاً من العدالة لضحايا الدمار. من وجهة نظر تقنية، نجد أن إعادة إعمار بيروت بشكل يراعي السلامة البيئيّة، باب نستطيع من خلاله تحسين حياة الناس ورفاههم بعد الإنفجار.

وبسبب الأزمة الماليّة الخانقة التي يمرّ بها لبنان، لا بد من تقليل الاعتماد على مواد البناء المستوردة والمكلفة. إن اللجوء الى إستراتيجيّة إعادة إعمار تراعي البيئة، يعطي الأولويّة لإصلاح وترميم العناصر المكونة للأبنية المحطمة بدلاً من استبدالها كلياً. وبقدر ما ننجح في إعادة استخدام المواد والأثاث، تقل الحاجة إلى المواد الجديدة وتتدنى تكاليف التجديد.

نلفت الى أن التعامل مع المواد السامة، التي قد تكون موجودة أساساً في المباني القديمة مثل الأسبستوس (الموجود في الأرضيّات والأنابيب والمواد التي تحمي الأسقف) وفي المصابيح الفلوية المتضامة المملوءة بالزئبق، يجب أن يتم بحذر شديد. نقترح ارتداء أقنعة خاصة وقفازات سميكة. ولا بد من تهوية الأماكن حيث توجد المواد السامة، بشكل جيد، وذلك لمدة يوم كامل على الأقل قبل الشروع في عملية الترميم، من أجل ضمان عدم احتواء الجو في عملية الترميم، من أجل ضمان عدم احتواء الجو المحيط على ملوّثات ضارة تنتقل عبر الهواء. أما المصابيح الفلورية المتضامة وأي معدات إلكترونيّة المصابيح النفايات الإلكترونيّة، حيث يتم التخلص منها وإعادة تدويرها بعيداً وبأمان.

تعرّضت العديد من المباني لأضرار في هياكلها. ولمعالجة هذا الأمر، يمكن استخدام الخشب أو الفولاذ المعاد تدويره كبديل صديق للبيئة. فعلى سبيل المثال، إن الأعمدة الكهربائية الخشبيّة التي تم التأكد من سلامتها الهيكليّة، يمكن أن تستخدم لدعم الأسقف إن كانت في حالة جيدة. كما أن الفولاذ الذي يحتوي على الكثير من العناصر المعاد تدويرها متوافر على نطاق واسع ومن دون تكلفة إضافية، مقارنة بالفولاذ غير الخاضع لإعادة التدوير والمتوافر لدى مختلف المصتّعين.

أما بعض المواد مثل الزجاج فلا يمكننا سوى استيرادها. ولكن اختيار الزجاج المزدوج من شأنه أن يقلل من أحمال التدفئة والتبريد في المباني، كما أنه يشكل عازلاً للصوت. لقد كان هذا الأمر مصدر انزعاج في بعض الأماكن الأكثر تضرّراً في الأحياء الصاخبة. إستخدام هذا النوع من الزجاج مهم جداً



خاصة في الأماكن التي تحتاج الى تكييف مكثف، حيث تتعرّض النوافذ كثيراً لأشعة الشمس. يمكن أيضاً تغطية الواجهات المشمسة بزجاج عاكس الطريقة صالحة أيضاً للزجاج الفردي - أو تضمينها كوّات تحدّ من امتصاص الحرارة وبالتالي من الحاجة إلى مزيد من التبريد.

يُنصح دائماً باختيار مواد طلاء تحتوي على نسبة منخفضة من المركبات العضوية المتطايرة بدلاً من استخدام مواد الطلاء التقليديّة المكوّنة بشكل أساسي من الزيت والتي تعتبر سامّة ومسبّبة للسرطانات. هذا الطلاء، الذي يضمن بيئة أسلم في الأماكن الداخلية، يتم تصنيعه محلياً ومن دون

تفاوت في الأسعار. وللحصول على لمسات أخيرة صديقة للبيئة، يمكن تجصيص الجدران باستخدام مواد خام مع القش الناعم في الطبقة الأولى من الكلس أو كمية صغيرة من الأسمنت كافية لتثبيت الجص وجعله أكثر متانة. وقد استخدم تقليدياً الآجر الثابت في منازل بيروت القديمة. من شأن ذلك أن يخفض الطلب على الأسمنت الباهظ الثمن (الترابة)، ويستطيع الساكنون أن يقوموا بهذا العمل بأنفسهم.

نظراً إلى أنّ الكثير من الأنظمة الميكانيكية والكهربائية قد تضررت، فلا بد من أن نأخذ في الاعتبار كفاءة استخدام الطاقة عند إعادة الإعمار.

ويشمل ذلك أنظمة التدفئة والتهوية وتكييف الهواء الموفّرة للطاقة (مثل وحدات التبريد المزودة بمحول ومضخات الحرارة)، والإنارة (لمبات LED)، والأجهزة الكهربائية (مثل البرّادات والغسالات والمجفّفات والتلفزيونات وما إلى ذلك). تساعد هذه المعدات على تخفيف الحمل الكهربائي، مما يسمح لها بالعمل على مصدر الطاقة الضعيف للمولدات، وفي الوقت نفسه يخفض من فواتير الاستخدام.

ومع تزايد انقطاع التيار الكهربائي في جميع أنحاء البلاد، نرى أن الاعتماد على الطاقة الشمسيّة استثمار جيد في الطاقة، وهو ما تروّج له أيضاً الحكومة. يسهل تركيب الألواح الكهروضوئية أو سخانات المياه التي تعتمد على الطاقة الشمسيّة عند إعادة بناء المدارس والمستشفيات التي تستخدم الكثير من الطاقة خلال الساعات المشمسة. كما نؤكد على جدوى استخدام سخّانات المياه التي تعمل على الطاقة الشمسيّة في المباني السكنية حيث مساحة السقف كافية لهذا الغرض.

فائدة هذه الأنظمة تتعدى مسألة الفاتورة المخفضة، فهي ترفع من مرونة المجتمع وقدرته على التعامل مع أي انقطاع قد يطاول في المستقبل البنية المركزيّة.

بعض التوصيات الواردة في هذا المقال، تترتب عليها تكاليف إضافية يصعب اعتمادها في ظل الوضع الاقتصادي الصعب للبلد. ولكن، إذا ما نظرنا إليها من منطلق جدوى الاستخدام على المدى الطويل، فالأمر لا شك مجد. ويمكن أيضاً تعويض التكلفة المرصودة لإعادة الإعمار من أجل تدعيم الأبنية المرصودة لإعادة الإعمار من أجل تدعيم الأبنية التعويض المالي من أن تكون واضحة في أقرب الآجال كي يتستى للمالكين اتخاذ القرار المناسب في شأن المبالغ التي يمكنهم استثمارها في اختيار مواد البناء. نأمل أن يعاد إعمار بيروت في أسرع وقت وبما يتلاءم مع حاجات الناس وقدراتهم.

إن هذا أمر غاية في الأهميّة وضروري من أجل تحقيق شيء من العدالة بعد هذا الحدث المدمّر.

حماية المستأجرين في صلب استعادة مدينة قابلة للحياة

نادین بکداش و عبیر سقسوق

استديو "أشغال عامة"

منذ إنفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020، تمّ إخلاء عشرات المباني في الأحياء المحيطة بالمرفأ. رحل السكان من جرّاء الأضرار والصدمة، كبارًا وصغارًا، ولدوا هنا أو استقروا مؤخرًا، مستأجرين ومالكين، لبنانيين ومهاجرين. وتصدّعت المحلات التجاريّة والمشاغل والمكاتب والمطاعم والحانات والمدارس وغيرها. كما قُطعت تمامًا الكهرباء والمياه في العديد من الأحياء المتضرّرة، وتصدّعت المباني وأصبح عدد منها غير قابل للسكن. ساهمت هذه العوامل في الرحيل السريع للسكان إلى خارج المنطقة.

> إلا أنّ رحيلهم يشكّل تهديدًا خطيرًا لاستعادة مدينة قابلة للحياة، وأحياء تزدهر فيها سبل العيش. فهناك خطر حقيقي من أن يتحوّل هذا الإنتقال السريع إلى تهجير دائم، خصوصاً وأن معظم هذه الأحياء كانت قد خضعت لمضاربة عقاريّة شرسة خلال السنوات العشر الماضية. فإذا أخذنا منطقة مار مخايل على سبيل المثال - التي قصدتها أجيالٌ متعاقبةٌ من النازحين إلى المدينة ووجدت فيها سكناً مناسباً وقريباً من مكان عملها - فقد تعرّضت بدءاً من العام 2006 الى تحوّل في اقتصادها المحلى. بدأت المطاعم والحانات تدخل إلى الحيّ وتحلّ مطرح الصناعات القديمة. وقد قصدته لتدني أسعار الإيجارات فيه، وإعجاباً بطابعه العمراني والإجتماعي الفريد، ما تسبّب في رفع أسعار الأراضي في الحيّ بنسبة 200 في المئة. ترافق ذلك مع وتيرة متسارعة لعمليات إنتقال الملكيّة من المالكين القدامي إلى الشركات العقاريّة والمستثمرين (راجع خارطة تحوّل الملكتة).

وتحوي الأحياء المتضرّرة في معظمها، على مبان قديمة أو

- السكّان القدامى: الذين يسكنون النسيج العمراني القديم في المدن بواسطة قانون الايجارات القديم، أي ضبط الإيجارات الذي توقّف العمل به عام 1992. هذه الفئة مهددة بالإخلاء والتهجير من دون توفير بدائل سكنيّة بفعل قانون جديد للايجارات القديمة (أقرّ في 2014 وعدّل في 2017) الذي جرّد الكثيرين من المستأجرين القدامى من ضمانة حقهم بالسكن. أ

هشاشتهم والإطار القانوني الذي يرعى وجودهم في

ينقسم المستأجرون الى ثلاث فئات:

- المستأجرون "الجدد" وفق قانون الإستثمار: هذا هو قانون الإيجارات الوحيد الذي بموجبه يستأجر السكّان في المدينة، وقد جرّد هذا القانون المستأجرين من حقهم في السكن وحوّل علاقتهم مع المسكن إلى علاقة استثماريّة بحتة يحدد شروطها المالك. فالعقد وفق قانون الايجار الجديد يهدّد الإستدامة في السكن

ROUM عبي الروم Occupancy types
الإشغال
1992 الإشغال
1992 الإشغال
1992 المبنى سكني شيّد قبل 1992
1992 المبنى سكني سكني شيّد قبار المبنى المبنى

- المستأجرون بلا عقود: في ظل انعدام السياسات والبرامج السكنية التي تؤمّن السكن لشريحة واسعة من ذوى الدخل المحدود، تظهر في المدن ترتيبات سكنية مختلفة تتمثّل بتقسيم الشقق لغرف، المساكنة وتأجير الأسرّة. تفتقد العديد من هذه المساكن إلى شروط السكن الملائم وتتسم بالاقتظاظ وغياب المعايير الصحيّة والهندسيّة، وسكّانها هم شريحة واسعة من التلامذة، والعمّال، والمهاجرين واللاجئين. هؤلاء يعانون من غياب العقود التأجيريّة، مما يجعلهم في وضع قانوني هشّ. يتمثّل استكمال كارثة الإنفجار باستغلال هذه الفئات القلقة على سكنها ومستقبلها في الحيّ، والذي يمكّنه غياب تام لتحمّل الدولة لمسؤولياتها وغياب الحماية للحق في السكن. فيتعرّض السكّان بحجّة تصدّع المباني إلى ضغوط بالإخلاء من المالكين من جهة ومن القوى الأمنيّة التي تنفّذ قرارات المحافظ. وفي حين يقاوم أعداد كبيرة من المستأجرين هذه الضغوط، إذ لم توفّر لهم ضمانات لعودتهم أو بدائل سكنية لحين إمّام إعادة التأهيل، تقوم القوى الأمنيّة بضغط إضافي يجبر السكّان على توقيع أوراق تحمّلهم مسؤولية عدم

تتجلّى مخاوف التهجير الدائم في ممارسات السلطة مع حق السكن، وتتغذى من جراء سيناريوهات كارثيّة لتجارب إعادة إعمار سابقة. لقد سبق ودُمّرت بيروت وضواحيها مرات عدة، كما شهدنا على تدمير مدن لبنانية أخرى وقُرى ومخيّمات. أُعيد إعمارها على نحو أعاد إنتاج الأسباب التي أصلاً أدت لدمارها: على أسس طبقيّة أو تقسيميّة أو لخدمة مصالح محددة؛ وساهم فلك في تشريد إضافي للسكان وفي تدمير الإقتصاد المحلي وفي خلق فجوة كبيرة ما بين الماضي والحاضر.

من هنا، ستشكل عملية تأهيل واستنهاض أحياء الكرنتينا ومار مخايل والجميزة والجعيتاوي والروم وفسوح والبدوي، صراعاً سياسياً حقيقياً. ستحاول السُلطة استغلال الدمار لتحريك شبكة من المصالح المرتبطة بقطاعي العقارات والبناء. وسنحاول نحن إرساء مسارات من شأنها أن تضع جميع السكان في صلب عملية التعافي وتقديم الدعم القانوني والإجتماعي للفئات الأكثر عُرضة للتهميش.

عليه، نطلق مبادرة مسح إجتماعي إقتصادي للأحياء وندعو المتضررين والعاملين الاجتماعيين إلى التبليغ عن الأضرار والتهديدات في السكن.

1. تبلغ نسبة الإيجارات القديمة ما يعادل 20 % من إجمالي المساكن في أحياء بيروت القديمة والتاريخية. يشمل هؤلاء فئات اجتماعية متنوعة، منهم من لا يتمتع بحقوق كاملة أو موارد هامة، كأصحاب المداخيل المحدودة، المعوقين وغير اللبنانيين، ومعظمهم فئات اجتماعية تقل مواردها مع مرور الزمن، كالمتقاعدين أو كبار السن.

2. وإن لم يعثر المالك على مستأجرين يستطيعون تحمل كلفة الايجار الذي حدده، فليس هنالك أي محفزات لعرض مسكنه في السوق بما أن ليس هنالك ضرائب على الشقق الشاغرة. وقد وصلت معدلات الشغور في بيروت إلى أرقام قياسية عالمياً، فهي تزيد في بعض الأحياء عن 30 % من الشقق المتوفرة.



تاريخيّة تسكنها نسبة كبيرة من المستأجرين. فالإيجار فيضد يشكّل الوسيلة الأساسيّة للوصول إلى السكن في المدن كلفة الرئيسيّة في لبنان. في بيروت، تبلغ نسبة المستأجرين إخلاء 49.5 % (وفقًا لمسح أجراه برنامج الأمم المتحدة الإنهائي مؤشر في العام 2008). وفي حيّ مار مخايل كمثال، تشكّل الإيج نسبة المستأجرين في النسيج القديم نحو 55 % (راجع الأربا الرسم البياني)، وقد باتوا مهدّدين بالتهجير الدائم نتيجة

فيضمنه فقط لثلاث سنوات، من دون أي شروط لزيادة كلفة الإيجار بعد انقضاء الـ3 سنوات أو ضمانات لعدم إخلاء المستأخرين. كما أن هذه العقود لا ترتبط بأيّ مؤشر يضبط كلفة الإيجارات وعملة تسديد بدل الإيجار، فهي متروكة تماماً لرغبات وقدرة المالك في جني

بيروت ما بعد الإنفجار – في مسألة إستعادة التراث

منی فواز

أستاذة في الدراسات الحضرية والتخطيط ومنسَّقة برامج الدراسات العليا في التخطيط والتصميم الحضري في الجامعة الأميركية في بيروت

> لم يكن غبار انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020 قد هدأ بعد عندما علا صوت الأحاديث التي تناولت خسارة التراث المعماري للمدينة. وبالتزامن مع ذلك، سارع أصحاب المنازل ودعاة الحفاظ على التراث وآخرون، إلى مسح الأضرار، وتقدير تكاليف الإصلاح، وتدعيم الجدران والأسقف المتهدمة تفادياً لعمليات الهدم، وعملوا قدر الإمكان على تجميع الركام من أجل إعادة بناء ما تهدّم. ووفقاً للتقديرات فإن عدد المبانى التاريخيّة التي تحتاج إلى أعمال ترميم كبيرة، يتراوح بين ستين إلى ثمانين مبنى.1 لقد اتحدت الجهود الرائعة تحت راية منظمة كلها من المتطوعين، وتضم الكثيرين ممن عملوا بإخلاص من أجل الحفاظ على العمارة البيروتيّة لعقود من الزمان. ولكن إذا أردنا أن ننقذ التراث المعماري للمدينة، فلا بد لنا أن ننظر الى التأثيرات المترتبة على انفجار بيروت في سياق التحولات التي سبقت الانفجار. الأمر أكثر من مجرّد تصدّع. فقد تسبّب الإنفجار في تعجيل عملية التدمير التي كانت قد بدأت بالفعل منذ عقدين من الزمن فقدنا خلالهما المئات من المباني. ولتغيير هذا المسار، لا بدّ من وضع هذه التعبئة الجارية ضمن سياق محدّد وتوسيع نطاقها من أجل التصدي لكل التوجهات التي عاكست جهود حماية التراث قبل الانفجار.

> أولئك المطلعون على تاريخ بيروت يدركون تماماً أن الأحياء المجاورة للمرفأ تعتبر رمزاً للتراث العمراني للمدينة. وفعلياً لم تتوسّع مدينة بيروت ويكبر عدد سكانها الصغير، والذي بلغ 10 آلاف نسمة، إلى أن بدأ ميناؤها يلعب دور المرساة الاقتصادية للمنطقة برمّتها في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. في ذلك الوقت تم إنشاء الكرنتينا، أو الحجر الصحي، حيث كان البحّارة مجبرين على المكوث في عزل مدته أسبوعين منعاً لانتشار الأمراض والأوبئة، قبل أن يُسمَح لهم بالاختلاط بسكان لمؤلاء ولآخرين ممن لم يكن يرغب بهم آنذاك. واليوم، لهؤلاء ولآخرين ممن لم يكن يرغب بهم آنذاك. واليوم، المهاجرين واللاجئين، واللبنانيين ذوي الدخل المنخفض والذين كانوا من الأشد تأثراً بالانفجار.

وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر أيضاً، بدأت المدينة تتمدّد خارج أسوارها، وعلى مدى قرن من الزمن توسعت على طول شارع أرمينيا حتى نشأت المناطق التي ربطت في نهاية المطاف بين المخيّمات الأرمنية في برج حمود وقلب بيروت التاريخي.

وخلافاً للأحياء المجاورة لقلب المدينة التاريخي، والتي تهاوت في التسعينيات بفعل الجرف الوحشي أثناء عملية إعادة الإعمار التي جرت ما بعد الحرب الأهلية،

حافظت المناطق المحيطة بالمرفأ على عدد كبير من المباني الحجريّة القديمة والتي يجسّد العديد منها الطابع الفريد لعمارة بيروت خلال العقود الأولى من القرن العشرين. وعلى مدار العقدين الماضيين، جذب سحر هذه العمارة وطابعها الفريد مجموعة من المبدعين الشباب، وكذلك الاستوديوهات وورش العمل وأصحاب المطاعم والبارات، والزبائن والزؤار. وفي كثير من الأحيان

وجدت لنفسها فرصاً عديدة كي تستبدل هذه العمارة الصغيرة، والمتواضعة في كثير من الأحيان، بناطحات سحاب، فشل الكثير منها في بث الحياة والنشاط في الأحياء التي شيّدت فيها. إستطاعت هذه الشركات القيام بذلك لأنّ عدم توافر أي نوع من الحوافز والدعم لأصحاب الممتلكات، جعل ملكية هذه العقارات عبئاً على مالكيها. وجد هؤلاء أنفسهم عالقين بين مسألتين،



لم يكن التعايش سهلاً بين هؤلاء وبين كبار السن من السكان الذين عانوا من الضوضاء والحياة الليليّة التي كانت تمتد لساعات متأخرة... ورغم ذلك، فإن المباني التي أزيلت أكثر من تلك التي تمّ الحفاظ عليها. في الواقع، إنّ مصالح الشركات العقارية ذات النفوذ وشركائها التجاريين في طبقة السياسيين والمصرفيين

القيام بترميمات باهظة الثمن وتحصيل إيجارات عفا عليها الزمن، في حين أن فجوة الإيجارات قد ازدادت بشكل كبير في المنطقة، فاضطر الملاك - الذين يتشارك الكثير منهم ملكيّة عقارات تشوبها تعقيدات متعلقة بالميراث داخل العائلة - إلى التخلي عن ممتلكاتهم لصالح أفراد أكثر قوة، وأحياناً مقابل حفنة من المال،

لمجرّد أن الشاري بإمكانه أن يرفع التصنيف التراثي عن العقار وأن يقوم باستثمار مربح مرخص به اليوم وفق قانون بناء منقّح ومتساهل للغاية.

بينما نمضي قدماً في تطوير مسار استعادة التراث العمراني للمدينة، وهي مهمة بالغة الأهمية بكل المقاييس، من الضروري أن يكون الدعم المنصبّ لحماية تراث المدينة أكثر استيعاباً لما يندرج تحت هذا المسمى. فالتراث كيان نعيشه، وعلى عكس الآثار التي نجدها في المتاحف، والتي يزورها الناس لمعاينة ما لم يعد له وجود، فإن الثقافات المدنية تعيش في الأشخاص الذين يجسدونها وتقترن بالشوارع والممرات والأدراج والمخازن وما يصل بينها. ترسخ المباني المتعدّدة الأشكال للسكن والعادات والتخيّلات والتفاعلات الفرديّة والجماعيّة. ذلك هو الإطار الذي يسكنه الناس ويتفاعلون فيه مع بعضهم البعض. وبالتالي، فإن هذه المساحات تكنز العادات والممارسات التي عاشها الناس في ما مضى وتلك التي يعيشونها اليوم. وهذا الكم هو الذي يجعلها مهمة من الناحية التراثية، ويعطيها قيمتها الحيّة، ويجعل منها كياناً لأحداث تاريخيّة ولذكريات أفراد، والتي تعكس في نهاية المطاف تاريخاً مشتركاً وهويات قادرة أن تجمع بين الناس. عندما يتم انتزاع هذه الممارسات المجتمعيّة من أجل المضاربة العقارية، فإن معالم تاريخيّة يتم محوها.

لذلك، إذا أردنا أن نوقف تدمير تراثنا ونستعيد ما تبقى من هذه الأحياء، يتعين علينا إيجاد واقع جديد لساكنيها ومستخدميها. ويتعيّن علينا أن نشركهم على اعتبارهم روّاد عملية الترميم هذه. وإلى جانب مجموعة القيود التي يتم وضعها عادة من أجل الحفاظ على التراث، كالإلتزام بنمط عمراني محدد، نحن بحاجة إلى معالجة الأطر المدنيّة والاقتصاديّة الأوسع والتي حصرت الإقتصاد المدني بالإستثمارات القائمة على المضاربة. وبالتالي، من الضروري تقديم رؤية شاملة للتحديث المدني، تستثمر في الاقتصادات الإنتاجية للأحياء وتقترح مشاريع عامة وإجراءات مدنيّة متكاملة. كما ينبغي أن تكون هناك حوافز وتعويضات مخصّصة تحديداً لسكان هذه الأحياء، تجعل من عودتهم إلى منازلهم واستعادة أعمالهم على رأس الأولويّات. لا بد من إعادة إحياء هذه المناطق حتى نضمن مساراً يخوّلنا استعادة التراث، ولا بدّ لهذا المسار من أن يدرك قيمة ثقافتنا كما عشناها وأن يقرّ أنها في حاجة دائمة إلى التجديد نحو الأفضل.

2020 آب للآثار، 24 آب 2020 .1. دراسة أجرتها نقابة المهندسين والمديرية العامة ال

أدوات بسيطة تمكّن أي شخص من كشف المعلومات الملفّقة

محمود غزيّل

صحافي ومدرّب في التحقّق من الأخبار

شكّل فيروس كوفيد-19 والإنفجار في مرفأ بيروت إختبارين جديدين لمدى استجابة الناس، كما وسائل الإعلام، لانتشار الأخبار الملفّقة. وللأسف، كشفت الحادثتان هشاشة البعض في رفض المعلومات المضلّلة إلى جانب المقدرة على ابتكار الإشاعات التي استُغلت للمآرب السياسيّة و/أو الشخصيّة.

وبعكس الإعتقاد السائد أن الصحافي المتخصّص هو الوحيد القادر على وضع حدّ لانتشار المعلومات الملفقة، إلا أن التطوّر التكنولوجي سمح للجميع بالوصول إلى أدوات مجانية مفتوحة الإستخدام، يمكن عبرها التأكد من ما يدور في فلك "وباء المعلومات" - Infodemic.

خلال الأشهر الأولى من العام 2020، كان لافتاً تناقل مجموعة واسعة من المواقع الإلكترونيّة الإخباريّة في لبنان، أخباراً من دون الإشارة إلى أي مصدر أو حتى التدقيق بالمعلومات التي استخدم أغلبها في إطار الإتهامات السياسيّة/الدينيّة؛ من بينها مزاعم عن نقل الفيروس عمداً من دول مجاورة، أو إدعاءات بالعثور على مستوعبات فيروسيّة داخل بعض السفارات، أو حتى إنتقال الفيروس عبر الطرود الآتية من الصين.

والأمر سيّان مع انتشار الهلع إبّان إنتشار صورة "سكرين شوت" مركّبة،¹ قيل إن مصدرها مستشفى الجامعة الأميركيّة في بيروت،² للتحذير من "ضرورة البقاء في المنزل لكون انفجار المرفأ أطلق غازات نيتريك أسيد سامة"، الأمر الذي نفاه المركز الطبى ونشر توضيحات عدة بعدم إصداره أي بيان بهذا

من جهة أخرى، كانت النظرة الدونيّة التي تشكّلت لدى مجموعات بارزة، بسبب عدم درايتهم بالفيروس وطرق انتشاره، والتي استهدفت بشكل خاص ذوي الملامح الآسيوية "الكورونوفوبيا"، والتي تكشّفت أضرارها مع خروج الطالب الصيني الزائر وانغ يو، الذي يشير إلى نفسه بإسم "أمير وانغ"،

فقد شكا عبر فيديو³ من عنصرية بعض الذين توجّهوا إليه بعبارات مؤذية، ما تسبّب له بخوف من احتمال حصول ردود فعل عنيفة، الأمر الذي وصل به إلى الإمتناع عن الخروج من سكنه، قبل أن يُحتضن مجدداً، بعد انتشار رسالته، وسط تأكيده أن المشاعر السلبية سببها الأول التضخيم الإعلامي المرافق لانتشار المعلومات المغلوطة عن كوفيد-19. وتكرر الأمر مجدداً بعيد الانفجار الكبير الذي وقع في العاصمة بيروت مساء 4 آب (أغسطس)، مع انتشار المزاعم المرافقة لمقاطع فيديو مختلفة غير صحيحة أو ملفقة، بأن المرفأ تمّ استهدافه بصاروخ من الجو، بحيث أفضت عمليات الفحص أن جميعها تنقل مشاهدات غير متطابقة للصاروخ 5 المزعوم، وأن معظم ما شوهد كان فعلاً مجموعة من الطيور⁶، وأن الهدف من نشرها كان - على ما



يبدو - لاستجداء التفاعل والشهرة السريعة من "لايك" و"شير".

وعليه مكن لأي شخص أن يواجه انتشار المعلومات المغلوطة، في خطوات ليست حكراً على المتخصّصين أو التقنيين، ومنها:

- التفكير بشكل منطقي وواع

يعمد المستخدمون إلى إعادة نشر المحتوى الذي يرون أنه يفيد الآخرين، ولكن في أغلب الأحيان تتمّ إعادة مشاركة هذه المعلومات من دون التدقيق في محتوى هذه الرسائل، وإن كان حقاً ما يقرأونه

ومن بين تلك الرسائل، عندما يتم انتحال صفة شركة أو مؤسسة ويطلب من المستخدمين الدخول إلى روابط للحصول على باقات مجانية من الإنترنت أو مساعدات مالية 7 تحت مزاعم أنها "هدية إلى الطاقم الطبي" أو أنها نتيجة "للأوضاع الحالية الصعبة". وهذا ما كانت تنفيه دامًاً كل من شركتي "ألفا"10و"تاتش"11 وسط تأكيد بأنهما لن يخاطبا المستخدمين "إلا من خلال قنواتهما الرسمية"، كذلك جهاز قوى الأمن الداخلي¹² الذي حذّر مراراً من روابط إلكترونية مشبوهة قد يكون هدفها "الوصول إلى البيانات الشخصية... لاستخدامها لاحقاً في أعمال إحتيالية".

وفي إطار متصل، يجب دامًا الأخذ بالحسبان أن هناك دامًاً تقنيات ووسائل تلفيق قد لا يكون المرء على اطلاع كاف عليها، تساهم بشكل أو بآخر في انتاج المواد الملفقة.

ويشار هنا إلى أحد الفيديوهات التي قيل إنها بتقنية "التصوير الحراري"13 ويظهر فيها صاروخ يقترب من

مرفأ بيروت قبل أن يحدث الإنفجار الكبير، ليتبيّن لاحقاً أن لا علاقة لأيّ تصوير حراري بل مجرّد استخدام تقنية "عكس اللون" - inverted colors الموجودة حتى في هواتف محمولة، والتي أضيفت إليها صورة لصاروخ يقترب من الأرض لاحقاً. وقد اتضح أن الفيديو الأصلي، بالألوان الحقيقيّة، كان التقطه أحد العاملين لدى شبكة "سي أن أن"ً، وليس هناك من أثر للصاروخ المزعوم.

- التحقق من المصادر

يتلقى مستخدمون بين الحين والآخر نصوصاً "جذَّابة" مرفقة عادة بروابط لمواقع إلكترونيّة، لإيهام القارئ بأن المراجع صحيحة. إلا أن نظرة سريعة 16 على تلك الروابط قد تكشف أن المعلومات غير مطابقة، لا بل أحياناً تعود إلى جهات غير رسميّة ومشكوك مهنيتها.

ويتيح متصفّح "غوغل كروم"، على الهاتف أو الكومبيوتر، ترجمة أي نص يظهر على الشاشة، ما يساعد في التأكد من المعلومات المكتوبة بلغة غير

كما مكن دوماً نسخ كلمات المفتاح الأساسيّة لأيّ معلومة ولصقها داخل موقع google.com لإجراء بحث يكشف المصدر الفعلي للخبر إن وجد وحتى تاريخ ظهور المعلومة لأول مرة على الانترنت، وهذا ما تكرر مع بعض تصريحات ملفقة، 17 منسوبة زوراً، إلى وزير الصحة حمد حسن في شأن إغلاق مدن وأقضية مع تفشى كوفيد - 19 فيها.

ومن بين الأخبار الملفّقة التي انتشرت بسبب تصديق كل ما ينشر عبر الواتساب، أن صحيفة "النهار" نقلت في 29 كانون الثاني (بنابر) الماضي،

عن وكالة "رويترز"، أُ خبراً عن "تكتم شديد يحوط خبر وفاة متظاهر في أكبر مستشفيات بيروت بفيروس كورونا"، ليتبيّن لاحقاً أن ما كان يتمّ تناقله هو جزء من تقرير موسّع نشرته الصحيفة على موقعها الإلكتروني، 19 تشير فيه إلى أن خبر رويترز

أما في حال وجود صور فوتوغرافية يراد التأكد منها، فيمكن على سبيل المثال الإستعانة بتطبيقي "Reverse Image Search" الهاتفيين على أندرويد $^{\scriptscriptstyle 0}$ أو آبل، 21 واللذين يتيحان إجراء بحث عكسي عن الصور، عبر أشهر محركات البحث Google و Bing

هذه التقنية تمّ استخدامها لدى التأكد من إحدى الصور التي انتشرت إبّان الإنفجار في مرفأ بيروت، وسط مزاعم أن "إعلام الاحتلال (الإسرائيلي) ينشر صورة جويّة لمكان الإنفجار"، 22 ولكن ظهر لاحقاً أن الصورة تعود لإنفجار سبق أن وقع عام 2015 في مدينة تيانجين شمال شرق الصين.

طبعاً لا مكن إغفال مشاكل إنتشار مقاطع الفيديو، والتي لا علاقة لها بلبنان أو أنها قديمة، ولكن يعاد تداولها مجدداً محتوى مختلف. على سبيل المثال، عندما انتشر مقطع 23 في نهاية شباط (فبراير) الفائت، مع بداية انتشار كوفيد-19 في لبنان، بعنوان "أنظروا من كان في إيران!"، 24 يظهر فيه رئيس المجلس النيابي نبيه بري، ليتبيّن لاحقاً أن الفيديو تمّ تصويره خلال وجود بري في مدينة كربلاء في العراق، وذلك في زيارة حصلت في نيسان (أبريل) 2019. ²⁵

ومن أبرز الأدوات التي تساهم في كشف زيف مقاطع الفيديو هي أداة InVID ، إذ يمكن إدخال أيّ ملف فيديو أو رابط لفيديو كي تتمّ معاينة ما يظهر من خلاله، كذلك المعلومات المخفيّة - ميتاداتا - التي قد يحتويها.

طبعاً، تبقى النصيحة الأبرز بضرورة النظر إلى أيّ خبر على أنه خاطئ حتى يتم تبيان العكس.

- 21. https://apps.apple.com/ae/app/reverse-image-search-app/id1003144513 22. https://twitter.com/TheNewPal/status/1290967729856491520 23. https://twitter.com/Mimoo123457/status/1230952858037649408
- 24. http://archive.is/98o80

الأشخاص المفقودين

إنفجار بيروت: عائلات تبحث عن مفقوديها والإنتظار يلوّعها سوء التنسيق بين المعنيين يصعّب المهمّة

مريم سيف الدين

صحافية



لأيّام، أثار الحديث عن 52 مفقوداً من جراء إنفجار مرفأ بيروت جدلاً وقلقاً بين اللبنانيين، وعزّز عدم الإعلان عن أرقام رسمية هذه المخاوف. قبل أن يكشف الأمين العام للصليب الأحمر اللبناني، جورج كتانة، عن وجود 7 مفقودين حتى تاريخ 25 آب، بينهم 4 لبنانيين وسوريان ومصري. بينما تحدث مصدر في قوى الأمن الداخلي عن 4 مفقودين بينهم إثنان لم يتم التأكد من وجودهما في مكان الإنفجار. وأيّاً يكن عدد المفقودين، فالأكيد أنّ العشرات ينتظرون بحرقة معرفة مصير ذويهم، وإن فقدوا الأمل في نجاتهم فإنهم ينتظرون إيجاد جثّة ليقيموا مراسم الحداد ويقطعوا شكّهم باليقين.وفيما ينتظر الأهالي معرفة مصير أبنائهم المفقودين، يبدو أنّ شوائب تعتري عمليّة البحث وتعرقله. فبعد توجيه أسئلة إلى جهات معنية عدّة بالبحث عن هؤلاء، كوزارة الصحة والجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي، يبدو أنّ سوء التنسيق وقلة الخبرة في التعاطي مع كارثة بهذا الحجم، يؤخران مهمة تحديد مكان المفقودين وإيجادهم. بينما يؤكد مصدر في الجيش اللبناني وآخر في قوى الأمن الداخلي استمرار البحث عن هؤلاء. ونظراً الى احتمال وجود مفقودين آخرين من الأجانب لم

يتمّ التبليغ عنهم بحكم وجود ذويهم في الخارج، يؤكد المصدر في قوى الأمن الداخلي أنهم وضعوا رقماً يسمح لذويهم بالإبلاغ عن فقدانهم. كذلك يتّكل المصدر على قيام أصحاب العمل بالإبلاغ عن فقدان أي عامل أجنبي لديهم. ووفق المصدر، تأخر لأكثر من أسبوعين تسليم رفات بعض العمال الأجانب إلى ذويهم، في إنتظار أن يتمكنوا من المجيء إلى لبنان وإجراء الفحوص اللازمة. وإضافة إلى الألم الذي سببه الإنفجار في نفوس اللبنانيين بعد أن هدد حياتهم ودمّر جزءاً من عاصمتهم، فقد أعادت كلمة "مفقودين" مشاعر مؤلمة، إذ ربط البعض بين مفقودي الإنفجار ومفقودي الحرب الأهلية، والذين لم يكشف مصيرهم بعد عشرات السنوات. وإن اختلفت قضية مفقودي الحرب الأهلية عن قضية مفقودي إنفجار مرفأ بيروت، بحكم اختلاف الظروف وتغيّر الزمن، لكن مشاعر الفقد والخسارة واحدة لدى ذويهم. وقد أيقظ الحديث عن مفقودين مشاعر وذكريات رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان وداد حلواني، فوجّهت رسالة إلى ذوي المفقودين عبر صفحتها على "الفايسبوك"، تقول فيها: "ما بدنا تشبهونا". "لم استطع مواجهة أي أم أو أب لأني

لم استطع أن أضبط أعصابي وأنا أرى ضحايا أخرى يعيشون في انتظار أن يأتي مفقود ولا يأتي، والأسوأ عدم وجود أرقام رسمية عن أعداد هؤلاء"، تقول السيدة التي لا تزال تبحث عن زوجها المفقود منذ 38 عاماً. وتتخوّف حلواني من تقاعس الدولة في البحث عن مفقودي الإنفجار، ومن أن تواجه ذويهم بالحجج كما فعلت مع مفقودي الحرب الأهلية. "وإلا أصبح الأهالي مثلنا، عايشين ومش عايشين، ينتظرون فقط. الأصعب من الموت أن تنتظر شخصاً لا يأتي ولا تعرف عنه شيئاً. فعلى الرغم من قساوة الموت، غير أن الحياة تستمر بعد مراسم الحداد. بينما لا دواء لفقدان شخص سوى اليقين، أي معرفة الحقيقة، وإن عثر على جثةً أو أشلاء". ويبدو التخوّف من تقاعس الدولة مبرّراً، إذ أكّدت شهادات العديد ممن بحثوا عن ذويهم منذ وقوع الإنفجار سوء أداء الجهات المعنية. وكانت لعائلة الضحية غسان حصروتي الصرخة الأعلى، إذ قال ابنه إيلي بأنهم وأثناء التواصل مع الجهات المعنية لكشف مصير والده، كانت كلّ جهة تحيله على غيرها، حتى أن إحدى الجهات قال لنا "تصرّفوا أنتو". من جهته، لفت المدير التنفيذي في جمعية "المفكرة القانونية"، المحامى نزار صاغية، إلى أنّه وبناءً على معاهدة

جنيف والتزامات لبنان الدولية، كان من المفترض أن تنشئ الدولة اللبنانية مكتباً يتابع ملفات المفقودين في حال حصول أي حرب. "مهمة المكتب المسارعة إلى معرفة التفاصيل حول فقدان أي شخص. منذ حرب تموز في العام 2006 ونحن نكرّر المطالبة بإنشاء المكتب. كما طلب الصليب الأحمر من الجيش مراراً إنشاءه، بحيث يمكن الإستفادة من المكتب للبحث عن مفقودين عند حصول كارثة. فلو أنشئ هذا المكتب لأمّن خبرة أكبر في التعاطي مع مسألة المفقودين اليوم"، يقول صاغية. ورأى المحامى أن المشكلة الأساسية تكمن في عدم إمتلاك لبنان أي جهوزية لمواجهة أي كارثة، "هذا اهتراء للدولة، والناس متروكون للقدر". وعلى الرغم من تراجع عدد المفقودين اليوم، غير أنّ قضيّتهم الإنسانية ومعاناة أسرهم في انتظار معرفة أي معلومة عنهم، يفرضان على الدولة العمل بكل جديّة البحث عنهم، حتى لا يتحولوا إلى أرقام تضاف على لوائح المفقودين. كما يفرض الإرباك في التعاطى مع الكارثة، على الدّولة إعادة النّظر في استعداداتها لمواجهة الكوارث، من أجل التحضّر لجبه أيّ كارثة محتملة، صوناً لحقوق الإنسان وكرامته.



عمل فني لـ«اشكمان»







ويعمل المشروع على دعم مختلف فئات المجتمع من قيادات وجهات فاعلة محلية ومدرّسين وصحافيين وشباب وناشطين في المجتمع المدني، في تطوير إستراتيجيات متوسطة وطويلة الأمد لبناء السلام وإدارة الأزمات وتجنب النزاعات.

لمزيد من المعلومات:

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - مشروع «بناء السلام في لبنان» مبنى البنك العربي، شارع رياض الصلح، ساحة النجمة، بيروت - لبنان هاتف: 110 119-70 أو 583 890 -01

UNDP Lebanon f ()

للإطلاع على أنشطة المشروع، تابعوا: #PeaceBuildinginLebanon www.peace building supplement.org

تدقيق لغوي: جميل نعمة

ترجمة إلى العربية: لينا اسحق لحود ميسون الحجيري